روايات أحلام

عصفورة الصّدى

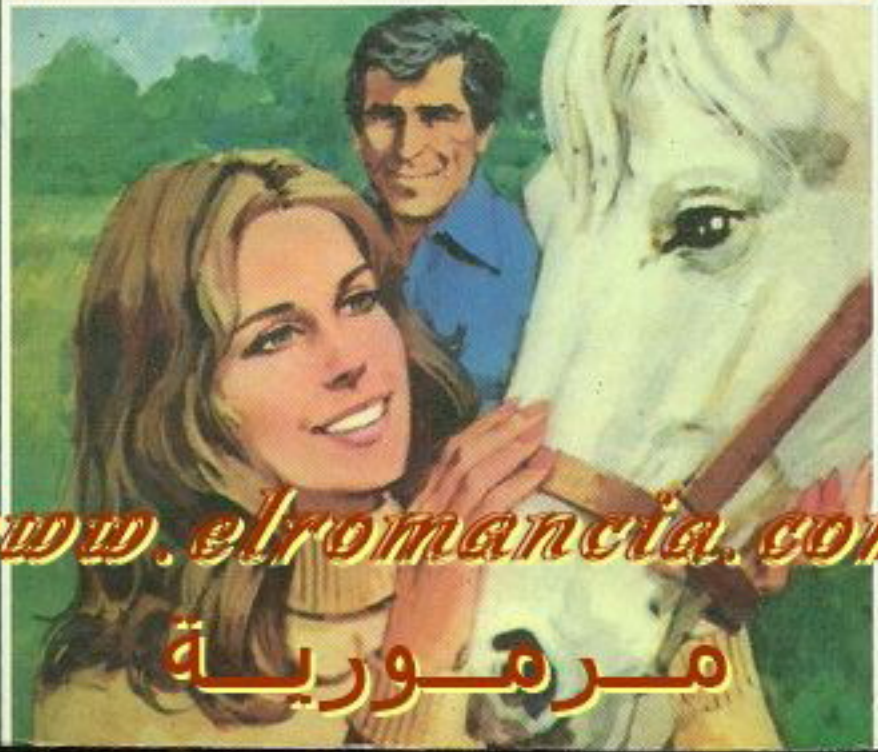

www.elromancia.com

مرمورية

روايات أحلام

عصفورة الصدى

ايف الفتاة الشقية الحلوة كبرت، ولكن هل كبرت إلى حد أن تجيد الاختيار؟ للأسف لا، فعندما علم خطيبها الأخير أنها لن ترث شيئاً تركها مثقلة بالخيبة والديون لغارث ماسترز الذي كان يسدد نفقاتها منذ زمن بعيد، دون أن تعلم.

حمل غارث على عاتقه مسؤوليتها واصطحبها إلى مزرعته مقرراً أن تظل قربه لئلا تخطىء مرة أخرى...

وهناك في أرض الطفولة والأحلام، أخذ كل ما حولها يهمس لها: اتبعي قلبك! وأقلقها هذا حتى قررت أن تكسر القوانين...

www.elmanaa.com

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١.٥ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ الحمقاء والعملاق

أيقظها رنين هاتف الردهة الخارجية . . فهرعت إليه وذراع في كم الروب الحريري الوردي المطرز، والأخرى خارجه .

ردت بصوت أجش: «نعم؟» .

ـ آنسة ماسترز؟ هنا مؤسسة وولف وشركاه . . يود السيد وولف التحدث إليك .

غطت إيف سماعة الهاتف بيدها وتثاءبت . لماذا يتصل جايسون في مثل هذه الساعة المزعجة؟

ـ إيف؟

إنه صوت جايسون وولف الأجش .

ـ صباح الخير جايسون .

ـ تبدين نعسة عزيزتي . . حفلة أخرى؟

ـ مجرد عشاء مع هوك .

لم يكن جايسون معجباً بخطيبها الأخير، فقال ببرود:

ـ آه . . أجل . . الواقع يا عزيزتي أنني أرغب في رؤيتك هذا الصباح .

ولكنها على موعد مع المزيّن في الحادية عشرة وعلى موعد مع هوك بعد ذلك .

ـ ألا يمكنك الانتظار جايسون؟

تبنى جايسون لهجة صارمة: «لا عزيزتي، فليكن لقاؤنا في تمام العاشرة والنصف».

وصلت إيف في الوقت المحدد فرأت جايسون الرجل البدين، المترهل الذقن الأزرق العينين بنتظرها. قال معلقاً على مظهرها الشاب الندي وكأنه أب فخور:

ـ فاتنة! يا لك من فتاة جميلة إيف.. تجعلينني أحياناً أتمنى لو تغلبت على كراهيتي للزواج، لأستمتع برؤية ابنة تشبهك.

ردت إيف بمحبة:

ـ لكنك كنت أشبه بأب لي جايسون.

هز جايسون رأسه الأصلع:

ـ يعلم الله أنني حاولت.. فكري فقط في سفر راكيل وتركك هنا.

ـ لقد تباحثنا هذا الموضوع سابقاً جايسون.. هنا موطني وفيه قلبي وروحي.

ـ غير أن أمك أمضت السنوات الخمس الأخيرة في لوس أنجلوس.

ـ لم أشعر قط بالوحدة. أحببت مدرستي وجامعتي.. لي عدد وفير من الأصدقاء.

ـ هذا ما يحدث دائماً عندما يكون المرء ثرياً.

وافقت برضى: «أليس ذلك رائعاً؟ لا أصدق أن راكيل رحلت! راكيل المفعمة بالحيوية والنشاط».

ـ كانت فعلاً كما وصفتها.

كانت راكيل ماسترز أكثر النساء انطلاقاً وأشدهن فتنة وتواضعاً، فلم يكن في قلبها غرور أو خبث وبسبب هذه الصفات قد يغفر لها المرء كل شيء عن ابنتها الوحيدة.. أما موتها الفجائي وهي في الرابعة والأربعين، فوقع نتيجة طريقتها المتهورة في الحياة. فبينما تلتزم

النساء بيوتهن للعناية بالعائلة، اتجهت راكيل إلى التسلل بعيداً..

ارتبكت إيف لرؤية اضطراب جايسون، فسألت:

ـ ما الخطب؟ أهي الوصية جايسون؟ أهذا ما يزعجك أيها العجوز الرقيق القلب؟ لا حاجة بك إلى قراءتها.. أخبرني فقط كم سأرث.

انتفض جايسون: «يا ابنتي العزيزة أكاد أبكي.. لأنك لن ترثي جنيهاً».

يا له من وقت يختاره للمزاح!

ـ هيا الآن جايسون!

خلع نظارته ينظفها: «قلت الحق عزيزتي. كانت راكيل غبية إلى حد غير معقول، فطالما مولت مشاريع صديقها الجيغولو الطائشة، صديقها الذي يعيش على مالها، وأغلب الظن أنها لم تفكر قط في أنه عديم الموهبة والعقل في التجارة. والنتيجة أنه لم يبق شيء!»

حولت الصدمة بشرة إيف الفتية الخالية من العيوب إلى لون أبيض.. وقالت وعقلها يرفض ما قاله جايسون:

ـ لا أصدق! ترك أبي لها ثروة!

ـ بددتها أمك على سباق الخيل والرجال! طالما رددت لها أن الثروات تنفذ.. لكنها ظنت أن ثروة ماسترز لا تنضب.. في الواقع خصصت مبلغاً هائلاً لنفقاتها ولنفقات ذلك المغفل الذي تزوجته..

تنهد تنهيدة عميقة ثم أردف:

ـ ولم يكن زوجها رجلاً محترماً ناضجاً بل ممثلاً مغموراً في أفلام وضيعة.

ـ ولكنه كان في غاية الوسامة جايسون.. ألم يكن وسيماً؟ كانت راكيل تضع في أولويات اهتماماتها المظهر الجميل.

ـ كان «جيغولو» لعيناً! وقد استطاع التحكم بها.

ردت إيف، وهي لا تشك أبداً في أمها:

www.elromancia.com

ـ طالما أحبت راكيل الشجار . . فماذا سيفعل الآن بدونها؟

قال جايسون بحدة واحتقار :

ـ سيفتش عن امرأة ثرية أخرى، تكبره بعشر سنوات ليتزوجها! لقد رجوت راكيل ألا تتزوجه . . ولكن كالعادة، لم تصغ إلي بل استسلمت إلى ذلك الأحمق الأسمر! ولا عجب أن العائلة تنفست الصعداء حين اختفت من حياتهم .

قالت إيف بحزن :

ـ طالما اعتبروها مجنونة . . مسكينة أمي فقد كانت سخيفة إلى حد التطرف . . سمعت الجدة ماسترز الكبيرة تقول هذا عنها . . كيف تزوجت أصلاً برجل من عائلة كهذه؟

بدا جايسون مرتجفاً فأدركت إيف أنه مصدوم أيضاً، وقال بحماس :

ـ ولكنها كانت رائعة الجمال! لقد تزوجها مارك رغم معارضة أهله الشديدة . كانت أشبه بزهرة في أوج الربيع، وأنت مثلها . والأنكى من هذا أنها شغفت بمارك إلى حد الجنون .

ـ حتى فرقهما الموت . .

لم تكن إيف حتى الآن قد تغلبت على خسارة والدها .

ـ لا أقدر على التفكير في أنهما قتلا في حادثة لا معنى لها . .

طوى جايسون رسالة بدت مهمة وقال :

ـ كانا يحبان المخاطرة . . ثمة أمور أخرى أريد أن أقولها لك .

استدار نحو النافذة الزجاجية المطلة على المدينة الصاخبة، وأكمل :

ـ كانت عائلة ماسترز تنفق عليك في السنوات الماضية .

ـ ماذا؟

جلست إيف لبرهة عاجزة . . ثم دنت من جايسون، ووجهها

البيضاوي الصغير يسجل ما يشبه الرعب .

ـ ليس غارث؟

هز جايسون كتفيه العريضتين الثقيلتين :

ـ ومن غيره؟ لقد طلبت مني راكيل أن أتوسل إليه . وهذا ما فعلته . . لقد حدث ذلك إثر قيامها بتمويل ذلك الفيلم الحقير لزوجها .

نظرت إيف إلى فستانها الحريري الجميل الفخم

ـ أتعني أنه كان يدفع ثمن ملابسي .

ـ هذا ما أخشاه .

تأوهت : «يالله! أفضل لو أنفق عليّ أي رجل سواه»

ـ ولكنه يا عزيزتي اللورد الحالي .

عاد ليستوي في مقعده الجلدي المرتفع الظهر :

ـ لا تستائي يا فتاتي الحبيبة، بإمكانه الإنفاق عليك . فعائلة ماسترز، كما تعرفين، ثرية جداً . والوايت هاند هي أكبر وأغنى شركة زراعية في استراليا وليست الزراعة فقط محور اهتمام الشركة . فغارث شارك في التنقيب عن المعادن . . وأنت تعلمين أنه اكتشف منجماً ضخماً وثمة مصالح أخرى . . إن غارث هذا لمتألق حقاً .

وافقت إيف بمرارة : «متألق حقاً» .

تذكرت المرة الأخيرة التي رأته فيها وتذكرت التحدي الذي واجهته به . إنه ديكتاتور رهيب من الطراز الأول . . آه! هي لا تقوى على التفكير في أنه كان يدفع نفقات ملابسها وزينتها وتعليمها الجامعي وسيارتها الصغيرة الحبيبة، البورش . .

صاحت برنة عذاب : «آه! ما أشد كرهي له» .

ـ لا تصرخي يا جميلتي . . ! فما كان يتدخل في شؤونك إلا من أجل مصلحتك . أليس هو من دعم موقفك عندما أصريت على البقاء في أمريكا، ضارباً بعرض الحائط تأثير أمك، كان ذلك تفهماً

www.elromancia.com

لوضعك.. أنا أرتجف حينما أفكر في ما كان سيحدث لو كنت معها ولاحظ ذلك «الجيغولو» نضوجك وتفتح براعمك.

ـ وماذا سيحدث لي الآن؟

ـ أظن أن غارث سيستمر في العناية بك.

ردت بحقد وسخط: «غير أنني لا أريد شيئاً منه! إنه لا يحبني حتى».

قال جايسون بلهجة من يمتلك معلومات أفضل:

ـ يا لهذا الهراء! ربما لا يوافق على أمور عديدة قمت بها كمسألة خطوبتك لهوك هذا ولكنه رغم كل شيء مهتم بك حقاً.. على أي حال، أنت ابنة عمه، ولو من بعيد.

بدت الحيرة في عيني إيف الخضراوين: «يستحسن بي البحث عن عمل».

وهذا أمر عظيم على فتاة ليس لها هدف جدي في الحياة.

تمتم جايسون مشجعاً: «ليست الفكرة بسيئة فقد كنت ناجحة في الجامعة».

بدأ رأس إيف يؤلمها.. لا شك أن ما يقوله مجرد ثورة لأشباح، أو كابوس سرعان ما تستفيق منه.

ـ يجب أن أتحدث بهذا مع هوك.

ولكن جايسون لم يكن يثق بذلك الشاب، فتمتم: «افعلي ذلك إن كنت مضطرة»..

تقدم هوك نحو إيف الجالسة في المطعم بانتظاره وانحنى بلثم وجنتها:

ـ همم.. رائحتك لذيذة! أهذا فستان جديد؟

ضحكت إيف ضحكة قصيرة غريبة: «أجل».

بالأمس فتاة ثرية، وفي الغد عاطلة عن العمل. جلس هوك على

الكرسي قبالتها.. إنه شاب بهي الطلعة، وهذا ما يعرفه حق المعرفة.

ـ حبيبتي.. ما بالك؟ أما زلت حزينة على راكيل؟

أزعجتها لهجته الساخرة: «كانت أمي».

ضحك متسامحاً:

ـ وهل اكتشفت هذا الآن؟ لم ألتق بأم أقل منها إهمالاً بحق ابنتها. كانت تتصرف كمراهقة خالدة.

أحست بازدياد انزعاجها: «كانت تعيش الحياة لحظة بلحظة ولكنني رغم كل شيء أحببتها».

علق بخبث: «ومن كان يكرهها، وهي أكرم المخلوقات على وجه الأرض، لقد نلت جميع ما رغبت فيه.. وهذا حظ رائع لفتاة شابة».

قالت وعيناها النجلاوان متسعتان من الصدمة:

ـ لم يكن الأمر كما تظن. لا أقبل منك هذا، ولكنها ماتت مفلسة.

كادت بشرة هوك الذهبية تصبح خضراء:

ـ ماذا تقولين؟

ارتجف ثغر إيف الجميل: «لقد أتيت مباشرة من مكتب جايسون الذي أخبرني أن المال قد ولّى منذ سنوات».

ـ ومن أين هذه الملابس الفخمة؟

أخذت عيناه تطوفان على خصلات شعرها الأشقر البراق، وعلى وجهها المزين بأفضل مستحضرات التجميل ومن ثمَّ على فستانها الأنيق، وحذائها العالي الكعبين المستورد من الخارج.

ـ لا تبدين بمظهر المرأة المفلسة.

ارتجفت إيف، ربما من جهاز التكييف: «ليس ما تراه عليَّ من مال راكيل».

سألها بحيرة محركاً رأسه يميناً وشمالاً متسائلاً: «مال من إذن؟» في لهجته ما جعلها تشعر بالغضب.

www.elromancia.com

ـ لم أكن أعلم أن لمالي هذه الأهمية عندك.

مال هوك إلى الأمام، وأمسك بيدها متلاعباً بخاتم الخطوبة.

ـ انتظري قليلاً حبيبتي لأنني أشعر بالارتباك وبالضيق من أجلك، فما يؤثر فيك يؤثر فيّ. كيف تنفقين هذا القدر من المال وأنت لا تملكينه؟

ـ ثمة من يوفره لي.

فغر هوك فاه: «بالله عليك ماذا تقولين؟»

ـ بالاختصار أقول إن أحد أقربائي يسدّد فواتيري كلها.

ظل هوك فاغراً فاه: «لا تقولي إنه ماسترز، ابن عمك البعيد».

ـ أجل.. ولا أظنني سأتغلب على الصدمة.

ـ وهل اكتشفت ذلك اليوم فقط؟

ـ أجل..

مالت إلى الأمام تقول بإلحاح: «سأضطر إلى العمل حتى نتزوج».

بدا هوك وكأنه يوشك أن يمسكها ويهزها بعنف:

ـ لا شك أن لديك بعض المال فلا يمكن حتى لأمك تبديد ثروة كبيرة.

ـ جايسون لا يكذب عليّ! ويجب أن تتذكر أن هناك من ساعدها على تبديد الثروة.

صمت هوك عابس الجبين بشدة.. ثم قال:

ـ حسن جداً.. عليك السعي إلى ماسترز هذا.. لتعرفي كم يساوي.. ملايين على ما أظن؟ من الإجحاف أن يمتلك رجل واحد هذا المال كله.

هزت رأسها: «لا شأن لي بماله».

ـ لا شك أن أمك ما تزال محتفظة بأسهمها في شركة الوايت هاند.

ـ يقول جايسون لا، فحينما تزوجت كوبر باعت أسهمها.

قال ساخراً بسخط:

ـ يا لها من غبية! ألم تكن تعرف أن مثل هذه الأسهم مقدسة؟

نظرت إليّ إليه مبتسمة ابتسامة حزينة:

ـ كنت سأرث أنا تلك الأموال. أليس كذلك هوك؟

سرعان ما تلاشت الحدة والتوتر من لهجة هوك:

ـ وما زالت لك.. فلن يتوانى ماسترز عن الاستمرار في دعمك مادياً.. وأظنه سيقدم لك هدية زواج عظيمة.

ـ أنت لا تعرف غارث، إنه رجل قاسي والأنكى أنه غير موافق عليك.

بدا مرعوباً أكثر منه منزعجاً: «عفواً؟»

ـ لم أذكر الأمر سابقاً ولكن ثق بكلمتي.

وارتجف صوتها الجميل.. ولم يستوعب هوك قولها.

ـ لكنني لم أقابله سوى مرة. وفي تلك المرة عاملني بتهذيب وبترفع ملوكي.

نفثت نفساً متحشرجاً: «لم يظن أن علاقتنا ستدوم».

ـ هراء! نحن سعيدان معاً.

ـ أعرف هذا.

نظرت إليه بحيرة.. هل هما سعيدان؟ هوك شاب جذاب، مثقف، ومدير تنفيذي صاعد وواعد في مؤسسة إعلانية. وهو إلى ذلك جذاب ولعل ما جذبها إليه سهولة معشره وتصرفاته الخالية من الهموم.

ـ ثمة طريقة للخلاص من هذا حبيبتي.. وأنا واثق أن ابن عمك العزيز، لن يتركك بدون بائنة.. فأنت يتيمة.

ـ لماذا لا نتزوج؟

ـ ألم نتفق أن يتم الزواج حين تبلغين الحادية والعشرين؟

ـ أي حينما أستطيع أن أرث مالي.

www.elromancia.com

التقط يدها يلثمها بخفة: «أحبك إيف لشخصك أنت لا أقول إنك أذكى الفتيات ولكنك أجملهن على الإطلاق».

ـ لكنني كنت في الواقع من أفضل الطالبات.

ـ أعني في الحياة حبيبتي، تذهلني براءتك.. أنت فريدة من نوعك.

لم تشك إيف في هذا.. فهوك يعتبر الأنثى التي تبلغ العشرين عاماً بدون أن تكون ذات تجربة فتاة غير سوية، وهذه نظرة لم يغيرها.

قال فجأة بحزم: «أكملي قهوتك.. فأنا مضطر للعودة إلى المكتب».

بعد ظهر ذلك اليوم توجهت إيف بسيارتها لزيارة صديقة من أيام الدراسة وهي صديقة متزوجة منذ سنة، حملت حديثاً.. بعدما تبادلنا التحيات بمحبة صادقة، عقدت إيف ذراعها حول خصر نورما المنتفخ.

ـ الآن أرى فيك مظهر الأمومة.

ـ ألم أعد أشعر بالغثيان، وقد قلت لكرابغ ان بإمكاني العمل بضعة أشهر، لكنه لم يوافق.

ـ هكذا هم الرجال، يخافون على زوجاتهم في الحمل الأول.

في المطبخ بدأت نورما تعد القهوة وتسأل إيف:

ـ حسناً.. هل من جديد؟ أعجبني فستانك ولكنك تبدين دائماً رائعة.

ـ لن يطول بي الأمر!

توقفت عن الاهتمام بالقهوة ونظرت إلى إيف بإمعان:

ـ لا يعجبني قولك!

ـ عجلي بإعداد هذه القهوة نورما لأنني أشعر بصداع يشق رأسي.

ـ ما خطبك، فأنت لم تشتكي قط يوماً من صداع كهذا.

ـ أنت تحبينني نورما؟

ـ طبعاً.. ولو كنت أبشع مما أنت عليه لأحبك الناس أيضاً فأنت لطيفة جداً.

ـ لم تعبثي قط بمالي.

ـ المال لم يفسدك حبيبتي. وكان هذا رأي الراهبات في الدير.

ـ وقد نفعني رأيهن لأنني لم أتلق العقاب الشديد.. ولكن الحقيقة يا نورما أنني مفلسة منذ بضع سنوات..

اتسعت عينا نورما البنيتان: «كيف؟ اشرحي لي الأمر إذن!»

وطفقت إيف تخبرها.

ـ حسناً.. ليس الأمر رهيباً على أي حال!

ـ لا؟

ـ وماذا قال هوك؟

كان في نبرة نورما سخرية. أجابت إيف: «صدم».

ـ لا يدهشني ذلك.

ومنعت نورما نفسها عن قول المزيد.

ـ لا أظنك أحببته يوماً؟

امتقع وجه نورما: «آه حبيبتي..»

ـ لم تذكري أنت أو زوجك ذلك ولكنني شعرت دوماً بأنكما تتحملان وجوده من أجلي.: لماذا لا يعجبك.. إنه وسيم ذكي، ومرح جداً.

لمعت عينا نورما بالغضب.

ـ إنه لا يناسبك إيف.. أنت صديقتي التي أحب. وأنت الوحيدة التي كانت معي حين كنا معا في المدرسة الداخلية.. ولم تشعر الفتيات أنني كنت تعيسة وبائسة ومرعوبة بسبب ابتعادي عن والدي، أما أنت فصادقتني وكانت صداقتك العامل المهم الذي حال دون

www.elromancia.com

التعليقات اللاذعة ضدي . . وأصبحت أجمل، وأذكى، وأحبّ فتاة في المدرسة صديقتي . . لم أكن أريد أن تتألمي . . ولكنني لم أستطع، أنا وكرايغ، إلا أن نفكر، فنحن نرى هوك رجلاً مخادعاً متملقاً يتوق إلى المال.

ـ لا!

رمت نورما بنفسها على كرسي المطبخ:

ـ هاك . . لقد آلمتك . . قال لي كرايغ أن أقفل فمي.

ـ لكنني طلبت منك رأيك.

ـ بلهاء . . بلهاء . . بلهاء . . هذا ما أنا عليه!

وضربت طاولة المطبخ فقالت إيف بحزم:

ـ كفى الآن، لا تزعجي نفسك، المهم أنك أنهيت إعداد القهوة.

رفعت نورما عينيها الدامعتين:

ـ أرجوك سامحيني لما قلته لك.

ـ أسامحك ولكنني أشك في أنك على حق.

بدت الحيرة والراحة على نورما:

ـ هذا لا يعني أنه لا يحبك . . سيكون مجنوناً إن كان لا يحبك.

ـ أوه . . يا للبؤس نورما . .

أرادت إيف أن تبكي ولكن لو بكت لطافت دموع نورما.

ـ قلت لي بنفسك إنه لم يعجب غارث.

ـ غارث لا يوافق على أي شيء.

صبت نورما القهوة، وجلست قبالة إيف.

ـ لا أستطيع أن أنسى المرة الأولى التي صحبتني فيها إلى الوايت هاند يومذاك لم أستطع أن أنتزع عيني عنه . . إنه أروع الرجال . . كنت أقع في غرامه كلما ذهبنا إلى هناك في الإجازات . . لكن رجلاً مثله لا ينظر إلى أمثالي أبداً.

ـ لكنك حصلت على كرايغ، وهو لطيف جداً، وشريف، ويحبك.

بدأت نورما تضحك: «وماذا عن غارث؟ أليس شريفاً ولطيفاً؟ الأمر كل الأمر أنك تحبينه».

لا يمكن لشيء أن يصدم إيف أكثر من هذا . . قالت بغضب: «أشكرك جزيل الشكر».

ـ أنا بطريقة ما خارقة للطبيعة، وبعيدة النظر.

ـ هذا ما أظنه . . إنما أخطأت بالنسبة لغارث . . فأنا لا أطيق وجوده

ـ أتعرفين لماذا؟ لأنك خائفة منه . .

ـ لست خائفة . . أنا لا أخاف أحداً.

ـ إذن . . لماذا كان أصدقاؤك وخطيباك نقيض غارث؟

ـ لأن لا وجود لشبيه له في كل الدنيا.

ـ لا تغضبي . . لو أردت غارث لحصلت عليه بسهولة فأنت تملكين كل المعطيات المطلوبة: الجمال والذكاء وسهولة المعشر وحسن الخلق.

ـ نورما عزيزتي . . أنت تهدرين وقتك . . فأنا لم أسمع قط كلاماً غريباً كهذا . قد يكون غارث رجلاً وسيماً . .

قاطعتها نورما تؤكد بلهفة: «بل مثير».

اعترفت إيف والتورد يكسو وجهها:

ـ أجل . . إنه مثير . . ولكنه معقد جداً بالنسبة لي . . ومهيب جداً ومحنك جداً . . وأنا لا أحب الرجال العدائيين والمتسلطين. لا أفهم كيف فكرت أنني قد أميل إليه.

ـ بينكما شيء ما . ربما نوع من التجاذب الكيميائي البدائي . . فلا أظنه متيماً ضدك كما تظنين.

www.elromancia.com

ـ ألم تفهمي بعد أنني مخطوبة؟

ـ إنه تكتيك دفاعي، أذكر كيف بدوت حين تأخرت طائرته عن موعدها.

ـ وكيف كان الجميع؟

خفق قلب إيف للذكرى.. فلو أصاب غارث مكروه لحلت كارثة كبيرة.

ذكرتها نورما: «لقد رميت نفسك عليه بكل بساطة حين وصل.. وحسبما أذكر، تعامل بروعة مع هستيريتك».

اضطرت إيف للاعتراف: «أنا بالطبع أهتم لأمره ولكن في شخصيته أوجهاً كثيرة أمقتها كما أنه قادر على أن يكون مرعباً إن شاء».

ردت نورما بخبث: «تقصدين أنه ليس رجلاً تديرينه حول اصبعك.. أعترف أنني لم أشعر بالدهشة لأنه يعيلك».

توردت وجنتا إيف فجأة:

ـ أجل.. أليس هذا رهيباً؟ نورما.. ماذا سأفعل؟

بعد يومين، وصلت رسالة من الجدّة الكبرى ماسترز.. فخفق قلب إيف قليلاً. لقد كان نهارها فظيعاً، فقد تعرضت لمقابلة فاشلة بخصوص العمل هذا الصباح، حيث أن درجتها الجامعية لم تعنِ شيئاً، وكان لنقص خبرتها الأثر الكبير. وبعد ذلك حدث لقاء عاصف مع هوك وقت الغداء، خرجت منه بدون أن تأكل شيئاً.. ومنذ أقل من نصف ساعة، قيل لها في مقابلتها الثانية لأجل وظيفة، إن لديها الكثير من المؤهلات للوظيفة. لكنها بحاجة ماسة إلى المال الذي لن يلبث أن ينفذ في نهاية الشهر وهذا يعني أنها ستضطر إلى بيع شقتها الفخمة، لكن، لمن هي الشقة في الواقع..؟ أهي لغارث؟ سيكون الأمر رهيباً إن كانت مرتهنة لرجل يبعد عنها مئات الأميال.

كانت رسالة الجدة كشعاع شمس بين غيوم الشتاء الدكناء.

تعاطفت معها مرة أخرى لموت والدتها، مع أنها كانت تعرف رأي الجدة بأمها.. وفي النهاية دعت الجدة إيف إلى الوايت هاند بحجة أنها تريد رؤيتها.. الجدة هي القوة المسيّرة لكل شؤون المنزل والمحطة الكبيرة، منذ زواج ابنة زوجها لوريس وانتقالها للسكن في كانبيرا مع زوجها. في المنزل أعداد هائلة من الخدم الذين ليس لديهم سوى «سيدة» واحدة.. أما زوجة العم دايفد الجميلة الماكرة كريستين فلا حساب لها.

سيكون سفرها إلى الوايت هاند أسهل طريق، فالجدة لن ترضى أبداً أن تراها في أزمة. ولكن من ناحية أخرى آن لها أن تقف على قدميها.. لقد تمتعت بحياتها مدة طويلة.. التقطت صحيفة المساء، وقلبتها بسرعة إلى صفحة الوظائف الشاغرة.. لكنها لم تجد أملاً لها. تنهدت بقوة. آه.. ها هي وظيفة شاغرة، والمطلوب القدرة على التعامل مع الناس على جميع المستويات، إضافة إلى القدرة على التهدئة وإجادة الطباعة ومساعدة عامة تعيش في المنزل.. وأرمل؟ ليس لديها الخبرة في هذا المجال.

حان موعد مسلسلها المفضل الذي تدور أحداثه حول عائلة ثرية وهو يذكرها بالوايت هاند. فكرت في الهالة التي تحيط بعائلة ذات ثراء فاحش. ولكن الشيء الوحيد المختلف مع غارث، أنه لا يستخدم ماله كهراوة للإرهاب.. أم تراه يفعل؟

فيما كانت تشاهد المسلسل قرع جرس الباب فعلمت أن القادم هوك، فصاحت:

ـ ادفعه..! إنه مفتوح.

ـ حبيبتي! أنت لست عابسة غاضبة؟

عيناه العسليتان نادمتان..

ـ ولمَ لا أعبس.. لقد كان يوماً مشؤوماً.

لكنها في الواقع لم تكن..

- هل لي أن أدخل؟

- طبعاً.. أنا أشاهد مسلسلي المفضل.

- ومن لا يشاهده؟ فالحثالة فيه يجذبون الناس!

- ما كنا لنشاهد المسلسل لو كانوا جميعاً فاسدين.

- ليتك تطفئين التلفاز.

- كما تشاء.

- تعالي إلى هنا.

ردت بدون وعي: «حسناً».

شدها إلى صدره وأبقاها هناك:

- ألا تعرفين كم أحبك؟ ألا تعرفين أن بقاءنا معاً هو كل ما يهمني؟

أحنى رأسه فلثم وجنتها النقية البيضاء ثم أردف:

- أعرف أننا سنجد السعادة. آه، ليتك تطلقين فقط العنان لنفسك.

سألته بجرأة: «أتشير إلى مشاطرة الفراش؟»

- هذا ما يفعله الكثير من المخطوبين.

ظلت جامدة بين ذراعيه: «أعرف، ولكنني قديمة الطراز».

وبخها هوك: «تقصدين بذلك أنك غير متعقلة أم أن لهذا علاقة باختلاطك مع الراهبات؟»

- رائع! هل اكتشفت هذا بمفردك؟

- نعم في بعض منه فقد أخبرني أحد الشبان أنك تجمدين حين يتمادى معك أحدهم.

- إنه ثمن باهظ تدفعه المرأة.. ولا أعتبر جسدي سلعة مبتذلة.

- لكن حبيبتي.. نحن نخطط للزواج والطريقة التي تتصرفين فيها معي، غير طبيعية.

ردت معترفة بمرح قلق:

- ربما.. أنت بكل تأكيد جذاب.. ولكنني لم أشعر قط بأنني أريد تجاوز الحدود معك. هل للافتتان وجود حقاً.. أم أننا نقرأ عنه في الكتب فقط؟ أنا آمل به.. أتوق إليه.. لكنني لم أختبره حقاً، ولا أفهم ما تدعونا النساء المتحررات إلى تصديقه!

عانقها فشعرت بجسمه كله ينبض:

- إيف، حبيبتي دعيني أثبت لك وجوده.. أنت جميلة.. جميلة..!

تسارعت أنفاسه فبدأ يغطي وجهها بقبلات خفيفة، غير عابىء حتى ولو تجاوز حده..

لم تستطع إيف لبرهة التفكير. فما يحدث غير مستساغ بالنسبة لها.. هوك خطيبها. وفي الواقع عليها أن تذوب رغبة بين ذراعيه.. ولكنها تعرف أنها لن تذوب حباً.. أهي فعلاً باردة؟ أتعاني من ردة فعل نفسية لا واعية لأن أمها المسكينة تألقت بعلاقاتها الغرامية؟.. لا.. ليس عليها أن تحلل نفسها.

تسللت يد هوك عبر يافة «الكومينو» الحريري الأخضر، يدفع أطرافه جانباً. فسارعت إلى القول: «لا..»

- استرخي حبيبتي.

وهل هناك شيء رهيب في هذا؟ إنها على أي حال ليست متزمتة.. تذكر مرة أن ذراع غارث لامست كتفها العارية وهو يفتح لها باب «اللاندروفر» فأحست بفمها يجف رعباً.

بدا في صوت هوك العذاب وهو يهمس:

- إيف ألا تعرفين ما تفعلينه بي؟ ألا تشعرين بشيء أبداً؟

ولكنها شهقت بسبب لمسانه وقالت:

- أوه.. لا تفعل هذا هوك!

- على المرء أحياناً اتخاذ القرار عن الفتيات الصغيرات.

www.elromancia.com

ابتعدت عنه مذعورة لأنها شعرت بتفوقه عليها ولأنها رأت التصميم على وجهه.. لم تره جذاباً بل شريراً ومغرضاً..

قالت بلهفة: «إن لمستني صرخت».

ـ ستحبين ما أفعل، واعلمي أنه لن تثنيني بعض المقاومة.

قالت تحتج: «أنت لا تحبني!»

ـ وماذا يفعل المتزوجون برأيك؟

بدا غاضباً مهيناً.. فقالت بذعر:

ـ حسناً.. هذا ما يفزعني.. فلا أظنني أرغب فيك.

ـ لكنك استمتعت بعناقاتي.

ـ لم تكن نهمة جشعة هكذا.

ـ هذه غلطتك.. أنت لا تعرفين شيئاً أبداً، وهذا ما لا يصدق.

ـ فلنتوقف الآن أرجوك. أنا آسفة هوك.. لا أفهم حقاً لماذا لا أحبك. أنا لا أعرف شيئاً.. وأنت محق.

تمتم من بين أسنانه: «أيعني هذا أنك تريدين فسخ الخطوبة؟».

ارتدت إلى الخلف عاجزة: «آسفة».

قال بغضب:

ـ كان عليَّ أن أعرف.. كنت أراك تتجاوبين مع بضع شبان في الرقص.

ـ لم يحدث أن تحول أي منهم إلى بغيض معي.

ـ من المؤسف أنك قررت استغفالي أنا.. ربما لا تهتمين بالعلاقة الفعلية لكنني أهتم بها.

أمسك بأطراف الروب الحريري وشده بعنف، وما ان فعل حتى صفعته بقوة.

لكن الصفعة لم تؤثر فيه أبداً بل زادته وحشية.. فشدها إليه، يسحقها بطريقة جعلتها تحس أنها على وشك أن تتقيأ.. رهيب هذا

الإحساس الذي تشعر به.. إنها بالفعل غبية بلهاء لأنها خططت لحياتها معه! إنه ليس أبداً ما تريد.. وهي تتكمش مما يجري وكأنه كابوس يحدث لشخص آخر.

عندما رفعها ليحملها إلى غرفة النوم صاحت بصوت حاد ملؤه الذعر والبؤس والإحراج..

قال بلؤم شرير: «إن صرخت ثانية ضربتك».

وجعلها كلامه غاضبة بالفعل: «أيها القرد المتوحش»

لم تستطع غرز أظافرها في وجهه.. لأن ذلك تصرف سوقي، ولكنها فتحت فمها استعداداً للصراخ مرة أخرى..

تعالت ضجة من الباب الأمامي فتسمر كلاهما ثم رأيا الباب يندفع إلى الداخل بوحشية، ويطل منه رجل طويل قوي البنية راح يتقدم بطريقة مخيفة تليق بوحش..

ذعر هوك من القادم فصاح مرتجفاً.

ـ من بين كل المتعجرفين! يا إلهي! هذا أنت سيد ماسترز!

ارتجفت إيف بعنف حتى كادت تقع من بين ذراعي هوك

ـ أنزلها من بين يديك..

لم يكن الصوت إلا همساً ومع ذلك بدا مميتاً، لاذعاً ينفذ إلى الأعماق.

ذعر هوك: «أؤكد لك أن الأمر ليس كما يبدو».

لم تتجه عينا غارث أبداً إلى إيف النصف عارية.. كان جسده ينحني بطريقة تعطي الانطباع بوجود قط متوحش على وشك الوثوب:

ـ قلت لك.. انزلها من بين يديك.

سارع هوك ينفذ ما قاله: «طبعاً طبعاً».

لأول مرة يشعر هوك بهذا الخوف من إنسان ولا تظنه إيف سيرغب يوماً في استعادة هذه اللحظات الهستيرية التي يبدو فيها غارث مقدماً

www.elromancia.com

على قتله.

احتبت إيف على الأريكة تستر نفسها وتشهق في الوقت نفسه شهقات صغيرة معذبة. ما أفظع أن يضبطهما غارث هكذا.. لماذا هو من بين جميع الناس! كان يعتقدها غبية أما الآن فسيظنها مستهترة خاصة وأنه من يسدد فواتير حتى عش الغرام الصغير هذا.. تأوهت بصوت مرتفع.

قال هوك مرتجفاً: «علي أن أذهب حقاً».

صاحت إيف وصدرها يعلو ويهبط بمرارة: «أيها الجرذ القذر».

ومضت عيناها الزمرديتان وتورد جسمها كله من الخزي والعار. ماذا ستفعل حين يصب غارث جام غضبه عليها.

تمتم هوك لينقذ نفسه: «كنت تتساءل عن تلك الصرخة..».

تقدم غارث خطوة نحوه: «اخرس».

وخرس هوك.. كيف لرجل أن يمتلك مثل هذا الجو من الخطر والدمار حوله؟

أخيراً فكر هوك أن يقول:

ـ إنها خطيبتي!

كان شاحباً وعيناه العسليتان مسودتين من فرط الخوف. أما وجه غارث فطغى عليه الازدراء والكراهية:

ـ لم تعد خطيبتها! لقد صرخت لأنك كنت تحاول إجبارها على ما لا تريده.

أحست إيف بأن غارث على وشك أن يضرب هوك، فقالت:

ـ لا.. حقاً غارث..

أدار غارث رأسه الأسود إليها: «سأصغي إليك عندما أريد أنا ذلك..»

وكان أن أصمتتها نظرته وربما ستنال عقابها ضرباً.

رن جرس الباب، وأطلت الجارة:

ـ مرحباً.. ماذا يجري هنا؟

تحرك غارث نحوها، يسد غرفة الجلوس.

ـ لا بأس في هذا.. أنا ابن عم إيف، غارث ماسترز، ربما ذكرتني أمامك؟

قالت الآنسة ماكميلان:

ـ بالطبع.. سيد ماسترز.

تقدمت إلى الأمام تحدق إلى الوجه الوسيم البارز.

ـ أعتقد أنني سمعت صراخاً وعلى ما يبدو كانت صرخة فرح.

قال برقة: «إنها عادة إيف، لم أخبرها بقدومي».

صاحت الآنسة ماكميلان بحماس، وقد غمرها الفرح لرؤيتها هذا «الماسترز»:

ـ ما أروع هذا! هل صحيح حقاً أنك تملك مليون فدان؟

ابتسم غارث لها، ليزيد من بهجتها الخيالية:

ـ تقريباً.. ترتدي إيف ثيابها لأنني سأصحبها إلى العشاء.

فهمت ماكميلان أن عليها الرحيل:

ـ يا لها من فتاة محظوظة.. أسعدني لقائي بك سيد ماسترز.. على فكرة أنا مارتا ماكميلان.

ـ كلمتني إيف عنك.

ولم يكن يكذب، ورافق السيدة إلى الباب وفيما كانت إيف منكمشة وراء الأريكة تخلص غارث من مارتا المسكينة.

اختفى هوك في المطبخ ملهوفاً إلى الرحيل غير قادر عليه. فثمة سبيل واحد إليه، وها هو غارث بسده بجسمه. قال غارث بصوت قاس يثير الاضطراب:

ـ لديك على الأقل جيران يهتمون لأمرك.. اخرجي من وراء

www.elromancia.com

الأريكة.

وأطاعته إيڤ.

ـ كيف عرفت أنني مختبئة هنا؟

ـ من المرآة أيتها الغبية.. كما أنني أعرف أنك جبانة كالقطة..

تجاوزها متجهاً إلى المطبخ، فسارعت إيڤ تلحق به:

ـ اسمع غارث، أنا الملامة على هذا.

ـ أعرف هذا.

ـ كيف؟

إن محاولة إنقاذ هوك أمر يختلف عن إيقاع اللوم عليها. ومضت عينا غارث الزرقاوان في وجهه الأسمر المهيب:

ـ يا لغبائك!

ما شعورها نحوه؟ أهو الحب، الميل، أم الكراهية؟ إنه يغضبها إلى درجة تكاد معها تشخر سخطاً..

ـ أنت لا تثق بي.. أليس كذلك؟

نظر ساخراً إلى العينين الكبيرتين وإلى الوجنتين المتوردتين وإلى الكومينو الأخضر المطرز بالزهور والطيور. كانت الياقة المثلثة مفتوحة بشكل أظهر بشرتها العاجية.

ـ هل ستدعين أنك خرجت لتوك من الحمام؟

ـ صدق أو لا تصدق.. كنت مسترخية في بيتي.

وضمت الروب بأصابع مرتجفة.

ـ ولهذا السبب انقض عليك ذلك المنتهك المجنون.

قالت بحدة: «لا تؤذه أرجوك».

ـ الشجاع وحده يستحق الضرب.

كان هوك في المطبخ يجلس مصدوماً. ثمة ادعاءات كثيرة يرغب في قولها، لكنه لم يكن يجرؤ خوفاً من عقاب فوري، فهو لا يستطيع

أن يدعي بأن إيڤ أغوته.. ولكنه يستطيع أن يهدد بإقامة دعوى إن ضربه ماسترز.. الذي لن يرغب في تشويه اسم إيڤ. رفع نظره متحدياً ماسترز وإيڤ متعلقة بذراعه ولكنه بطريقة ما قال بوهن:

ـ حسناً؟ ماذا تقول؟

قال ماسترز بازدراء: «توسلتني إيڤ من أجلك».

ـ هذا ما ظننتها ستفعل..

يا لقلبها الرقيق هـذا.. ترك هوك الكرسي، ووقف:

ـ أتحمل مسؤولية ما حدث كاملة. أنا وإيڤ متحابان وقد حدث أن فقدت صوابي إذ حاولت استعجالها لكنها غلطة لن تتكرر.

قال غارث ماسترز بعجرفة تليق بإبليس:

ـ كن واثقاً من هذا.. لقد عرفت إيڤ أنها ارتكبت غلطة أخرى.. ليس لديها أب أو أم، وأنا وصيها الشرعي.. لو كنا في زمن آخر لسلخت جلدك.

أحس هوك بأنه كان سيفعل ذلك لو كانوا في الوايت هاند والله يعرف أن ذلك المكان هو نوع من الممالك الاستبدادية.

ـ أعيدي إليه خاتمه إيڤ.

كانت عيناه الزرقاوان تحطان على وجهها.. ولكنها حاولت الحفاظ على استقلاليتها والابتعاد عن إطاعة غارث.

ـ سأفكر في الأمر.

تشجع هوك الذي قال متسائلاً:

ـ ماذا تحاول أن تفعل بنا؟

قال غارث: «الخاتم إيڤ».

كان عليها التمسك بموقفها ولكنها لم تعد تتحمل هوك، فأخرجت الخاتم الألماسي من إصبعها ومدت يدها به:

ـ أنا آسفة هوك.

www.elromancia.com

رد هوك بمرارة:

ـ أخشى ألا يكون ذلك كافياً.. فهناك أمر يدعى النكث بالوعد.

بدت الدهشة على إيف: «صحيح؟».

قال غارث: «قاضنا إن أردت مقاضاتنا».

ـ أنت تسيطر على إيف بحيث تصبح عاجزة عن التفكير.

رد غارث بعجرفته الباردة: «لا أدري لماذا تريدها إذن فليس عندها عقل راجح، ولا تملك المال».

برقت عينا هوك وهو يستوعب ما سمع:

ـ لا شك أن لديها المال، فهي من عائلة ماسترز.

ـ إنها ماسترز من بعيد. وأنا آسف ولكن مالها نضب ألم تخبرك؟

قال كاذباً: «لن أهتم حتى وإن لم ترث فلساً فأنا أحبها».

ـ آه! صحيح ولكن هل تحبك هي؟ لا أستطيع إلا أن أذكرك بصراخها.

ـ كانت خائفة.

ـ أما كان صراخها كفيلاً بتغيير تصرفك؟

عاد التوتر يتفاقم مرة أخرى، فأمسكت إيف ذراع غارث.

ـ أنا مستعدة لمسامحة هوك، فلماذا لا تسامحه أنت؟

تقلص وجه غارث احتقاراً: «وهل أربت على ظهره بحنان لأنه حاول الاعتداء عليك؟».

صاحت: «توقف عن هذا غارث.. ودعه يذهب».

سألها هوك بخيبة أمل مريرة: «ألا تريدينني إيف؟»

ـ أرجوك سامحني هوك، فأنا لا أعرف ماذا أريد.

قال غارث بخشونة: «بل تعرفين، يا لك من بلهاء لقد حاول اغتصابك!».

ردت بشراسة ووجهها محترق خجلاً:

ـ أعرف هذا.. وأنا لا أعتذر له بسبب ذلك.

وضع غارث يده على كتفها ووجهها إلى الباب.

ـ شكراً لله على هذا! سنرافق معاً خطيبك السابق إلى الباب.

أراد هوك أن يصرخ ولكنه لم يفعل بسبب خوفه، فما هو ولا غيره من الشبان بقادرين على أن يكونوا نداً له. كم يكره أمثاله من الرجال وكم يكره إيف.

وغادر هوك الشقة.

سرعان ما أصبحت رفقة غارث مخيفة.. تحركت إيف بقلق نحو غرفة الجلوس، تحس بالضيق والإرهاق.. وهذا اختصار لما تشعر به دائماً في وجود غارث.

صاحت: «من أين بحق الله ظهرت؟ أنت تظهر دائماً بطريقة شيطانية وفي الوقت غير المناسب».

ـ وهل أنت فخورة بنفسك..؟ الخطاب يأتون ويذهبون لأنك تهوين فقط وجود رجل بقربك.

ـ هذا غير صحيح!

نظر إليها بازدراء.. ما أشد قسوته!

ـ لو كنت تعقلين لعرفت أنها الحقيقة.. فأنا لا أشعر بالسرور كلما اضطررت لإنقاذك من مصير أسوأ من الموت.

ـ يا لها من طريقة بشعة لوصف ما جرى!

ـ خاصة بعد تلك الصرخة.. وكيف لم تحصلي على ما كنت تطلبين، لا أدري.

نظرت إليه وقد عادت إليها روح التحدي:

ـ هذا لأنني حكيمة. فالمجانين فقط يفعلون ما كان ينكر فيه هوك.

رفع غارث حاجبيه السوداوين:

www.elromancia.com

ـ حقاً؟ أنت يا طفلتي هي المجنونة.. أنت تعيشين في عالم أحلام لا وجود للتعقيد فيه أبداً.. الفتيات الجميلات يفعلن ما بوسعهن لإثارة الرجل، ثم يصرخن يا للمجرم اللعين!.. طبعاً أنا وأنت، نعرف طيبة قلبك. لكن كيف لانتهازي حقير مثل ريفرز أن يعرف؟ تستقبلينه في ثوب مغر، وتتوقعين منه الجلوس مكتوف اليدين كراهب.

مررت إيف يدها في شعرها الأشقر الذهبي:

ـ لم يكن صعب المراس من قبل.. ما خطبي غارث.. هل أنا باردة جنسياً؟

حلّ ربطة عنقه باضطراب وفتح ياقة قميصه: «ماذا أفهم من كلامك؟».

سألت مجدداً: «ما الخطأ في جسدي؟ لماذا لا أستجيب؟».

سألها ساخراً: «حبيبتي الصغيرة.. أيجب أن تتجاوبي؟».

توسلت: «ردّ علي غارث فأنا قلقة».

بدا عليه التوتر الشديد وأجاب متجهماً:

ـ عندما تلتقين بالرجل المناسب فستتجاوبين معه.

ـ أنا في العشرين.

استدار إليها متحفزاً فانتفضت.

ـ وإن يكن؟ لا تخافي لن تموتي عانساً عجوزاً.

توسلت:

ـ لا تغضب مني غارث.. أراك في الآونة الأخيرة غاضباً مني دائماً.

ـ تعرفين السبب.. لقد سئمت ما تفعلينه بحياتك فما أنت بنسخة مطابقة عن راكيل.

قالت بحزن:

ـ لا يمكن أن أكون.. فراكيل امرأة عاطفية.

ـ وكانت امرأة سخيفة كمراهقة. صحيح أنك ورثت عنها جمالها، لكنك لم ترثي أخلاقها.. فلديك دم ماسترز ولديك عقل ماسترز كذلك.

رفعت رأسها: «لماذا تعتبرني إذن حمقاء؟»

ـ لأنك تتصرفين كحمقاء..

استقرت عيناه الياقوتيتان على شعرها، ثم على وجهها، وبعد ذلك حطتا على الكومينو. تابع:

ـ على من أضع اللوم عليك أم على آخر أصدقائك؟ لماذا لا تغربين عن وجهي لترتدي ملابسك؟

سألت ونوردها واضح: «أتريد حقاً اصطحابي إلى العشاء».

ـ ستطلب مني جارتك مارتا الوفاء بهذا.

ـ إنها لطيفة.

ـ وأنا أراهن أنها تظنك تمضين وقتاً طيباً.

تأثرت إيف بسخريته وردت: «هل أتيت لتصحبني إلى الوايت هاند؟»

قال غارث بحزم:

ـ لا تنتقدي.. فهو المكان الوحيد الذي تتصرفين فيه بتعقل.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ المرأة هي المرأة

كانا يطيران على ارتفاع شاهق فوق الريف النائي حين قال لها غارث إن الطائرة ستحط في «كانيمبلا»..

ـ وكم سنبقى فيها؟

ـ ساعة أو ساعتين على الأكثر، ستقام سوق الماشية والروديو السنوي في حزيران، وكايلوم من أعضاء مجلس الإدارة.

ـ أعتقد أن العزيزة فيكي ستدفع جميع السيدات للمشاركة بالسباق.

لم ينظر غارث إليها: «طبعاً ففيكي فارسة متفوقة».

لم تستطع إيف كبح ما يشبه الغيرة: «هكذا هي فعلاً».

لم تفهم سبب غيرتها هذه ولكن الواقع أنها تغار.. فغارث معجب جداً بفكتوريا..

سألت: «ما رأيك لو تركتني أجرّب حظي هذه المرة».

ـ ستحطمين عظامك الرقيقة.

ـ وماذا عن سباق البراميل؟ فأنا بارعة في هذا!

ـ الشيء الوحيد الذي تبرعين فيه حقاً، هو إضافة لمسة سحر.

ـ رباه! أنت غير لطيف!

ركزت نظرها على لوحة عدادات طائرة (الايروستار).. إنها رحلتها الأولى في طائرة غارث الرائعة الجديدة ذات المقعدين.

سمعته يقول: «أنا آسف.. هل تركتك بحاجة إلى المال؟»

ردت بعنف: «لا تقلق فلن أبقى عالة عليك حتى آخر العمر».

ـ فتاة عاقلة.. فأنت مدينة لنفسك بالانطلاق إلى الدنيا وبالقيام بما هو مفيد.

صرّت على أسنانها: «خنزير».

ـ لأنني قلت إنك تخافين العمل؟

ثقبته عيناها الزمرديتان: «لست خائفة فبالأمس أجريت مقابلتين من أجل العمل».

رنا إليها بطرف عينه باستخفاف: «وهل كانتا ناجحتين؟»

ـ لم تكن أي منهما ما أريده.

رد ساخراً: «أراهن على ذلك، فما من وظيفة تبدأ في الساعة العاشرة، أو تسمح بفرصة غداء مدة ثلاث ساعات.

ـ ها قد عدنا مجدداً.. البقاء معك كالبقاء في أرض معركة.

ـ يا لك من مخلوقة حساسة!

لم ترد إيف بل جلست عابسة بصمت حتى حلقا فوق مرتفعات «كانيمبلا» وكان غارث يقود الطائرة الجديدة بكفاءة مميزة.. فكان أن أسندت رأسها إلى المقعد، بانتظار هبوط الطائرة.

كانت فيكتوريا بالانتظار.. سمراء، طويلة، جميلة ترتدي سروالاً كاكي اللون، وقميصاً قطنياً خفيفاً. كانت تلوّح بنشاط منذ سارت الطائرة على المدرج.

قالت إيف ساخرة: «ها هي صديقتك..»

ـ الوقت مبكر على هذا.

ـ طبعاً.. يجب أن تمر خمس وعشرون سنة!

ـ يحتاج الحب إلى وقت لينمو.. فالدخول والخروج من خطوبة إلى أخرى أمر يصيبني بالغثيان.

www.elromancia.com

زاد ما يقوله من عزلتها. عندما أصبحت فيكي على مقربة منهما ألقت نظرة هادئة على إيف ولتعوض إيف عن ذلك ابتسمت بحرارة وبدأت تلوح لها..

اللعنة على فيكتوريا.. لا شك أنها جذابة.. ولكن الأهم من ذلك كله انها سترث مئة وثلاثين ألف فدان.

عندما توقفت المحركات الثوية ساد صمت مطبق قطعه غارث باختصار: «تعالي».

تعثرت في فك حزام الأمان فراحت تلعن الرجال الذين يطالبون بالسرعة.. وقالت:

ـ آه! ليت الجفاف يصيبك!

كانت تحس بالرضى لأنها الشخص الوحيد الذي يجرؤ على قول هذا له..

قال فجأة: «أما كان بإمكانك ارتداء ما هو أقل أناقة؟»

نظرت إلى نفسها مذهولة: «وما الضير في ثوبي؟»

ـ يجب أن تعترفي بأنه قصير جداً.

ـ هاها.. من منا الخبير بالعالم؟

كان ثوباً رائعاً، مؤلفاً من تنورة من الكريب دوشين، ومن بلوزة ياقتها عالية..

سألت بخبث: «أتساءل، هل المشرف على العمال موجود هنا؟»

ـ ألهذا ارتديت هذا الثوب؟

كان يفتح لها الباب الجرار الكبير الذي يفضي إلى درج صغير يلامس الأرض.. نظرت إيف إليه بعينين نصف مغمضتين، فاتنتين:

ـ إنه يعبدني..

كشر غارث وجهه بسبب غباء المشرف على العمل في كانيمبلا:

ـ يا له من غبي!

قالت فيكتوريا بصوتها المؤثر غير العادي: «غارث».

ابتسم لها: «مرحباً فيكي».

كانت ابتسامة كسولة ولكنها جذبت اللون الوردي إلى وجه فيكي المسكينة التي سارعت إلى القول: «إيف، ما الذي حملك إلينا؟»

أدركت إيف العداء الخفي في عيني فيكتوريا السوداوين الجميلتين.. وأجابت بخبث: «لا أطيق فراق غارث»

لم يعجب هذا فيكي.. فإيف تشكل خطراً واضحاً مع الوقت لأنها لم تعد تلميذة، بل أنثى ناضجة ويجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، مع ذلك ردت فيكتوريا:

ـ تبدين مذهلة.. تشبهين أمك أكثر مما مضى.

كان على هذه المرأة، نظراً لغياب راكيل المفاجىء أن تبدي بعض التعاطف ولكن وقت الغداء تبين لها أن آل كرافورد لم يكونوا على علم بما جرى لراكيل. وعندما عرفوا أمسك كايلوم اللطيف يد إيف الصغيرة الشاحبة

ـ عزيزتي ما أشد أسفي.

تمتمت المرأتان بكلمات الأسف مع أن نظراتهن لم تدل على تفاجئهن بما حدث.

قال غارث: «تريد جدتي أن تمكث إيف معنا فترة. إنها مغرمة بأنيقتنا الفاتنة».

رد كاي (كايلوم) متودداً

ـ ومن ليس مغرماً بها! ستكونين معنا بدون شك في سوق الماشية السنوي.

بدا واضحاً أن غمامة سوداء قد هبطت على زوجة كرافورد واينتها.. فسارعت إيف الطيبة القلب إلى إخراجهن من بؤسهن.

ـ لكنه ما زال بعيداً، فلن يجري قبل ستة أسابيع.

www.elromancia.com

نظر إليها غارث نظرة تثير الرعدة: «أخلت نفسك راجعة غداً؟»

قالت السيدة كرافورد: «ربما تريد العودة إلى خطيبها».

إنها وابنتها فلقتان لحبة واحدة، ولكن غارث سارع يقول بسخرية حادة:

ـ لا تقلقي.. فليس عندها خطيب.

فغرت فيكي فاها وصاحت: «ليس مجدداً».

قالت إيف بقسوة: «إن إحدى هوايات غارث هي التخلص من خطّابي».

وقهقه كاي العملاق الأسمر، ضحكة راعدة..

ـ أستغرب لأنك لم تسببي له حتى الآن انهياراً عصبياً!

ـ على الإنسان أن يحسن التفكير أولاً حتى يصاب بانهيار.

بدا الخبث في عيني كاي الزرقاوين: «أتظنين أنه لا يفكر فيك؟»

ـ لم يفكر في على نحوٍ جيدٍ منذ سنوات.

قررت السيدة كرافورد أن إيف تتلقى الكثير من الاهتمام، فسألت غارث بابتسامة مشرقة:

ـ ما رأيك بفنجان شاي..؟ ثم دع فيكي تريك التحسينات التي أجريناها في المكان.. إنها تهتم جداً برأيك.

سألت إيف وفي صوتها لمسة شيطانية: «أين ميغ؟»

حذرها كاي: «اتركي ميغ وشأنه إذ يكاد يتغلب على حبه لك».

ـ أردت أن ألقي عليه التحية فقط.

ابتسم كاي:

ـ حسناً أيتها المهووسة الصغيرة ففيما يقوم غارث بجولة مع فيكي أقوم أنا بمرافقتك لرؤية ميغ، ولكن اعلمي أن الغبار سيلوثك.

نظرت السيدة كرافورد إلى زوجها لتمنعه من تشجيع الفتاة، متذكرة أنه يشجعها دوماً: «يستحسن أن تبقى برفقتي».

ردت إيف ببراءة:

ـ لا بأس في هذا سيدة كرافورد.. فلست مصابة بداء الربو، لأتضايق من الغبار.

فكرت السيدة كرافورد أن من المحرج أن يتحمل غارث مسؤولية هذه الفتاة المثيرة.. فهي غير عادية الجمال، وأكثر دهاء من أمها..

خرج غارث مع فيكي بانسجام تام أما هي وكايلوم فانطلقا بالسيارة نحو الاسطبلات.

سألها كاي: «ما رأيك؟ هل سيتفقان؟»

ردت بعد تفكير:

ـ أجل.. في النهاية.. أعني أن لديهما قواسم كثيرة مشتركة.

ـ يا ابنتي الحبيبة، وماذا عن الحب؟ يا إلهي، نحن لا نتكلم عن أمور المزرعة.. فالرجل لا يتزوج المرأة لأنها بارعة في سوق المواشي!

أعطته إيف رأيها بدون مواربة:

ـ يصعب على غارث الاعتراف بحاجته إلى امرأة.. أنت تعلم أن النساء يلاحقنه منذ سنوات.. وهو الآن في الرابعة والثلاثين، ولم يقرر شيئاً بعد.

ـ أتظنينه يحب فيكتوريا؟

أثر فيها قلق كاي الأبوي:

ـ يجب أن يحبها إذ يبقى معها أكثر مما يبقى مع سواها.

بدا كاي مطمئناً قليلاً:

ـ لو سألتني رأيي، لقلت إن ابنتي تواجه مشكلة. فأنا أحب غارث وأحترمه، غير أنني لا أراه مقدماً على الزواج بها أبداً.

ـ لا تقف مكتوف اليدين عاجزاً.. اسأله!

ـ اسأليه أنت!

www.elromancia.com

يظنها كايلوم على ما يبدو قادرة على طرح مثل هذا السؤال المحرج.

ـ هل يزعجك عدم زواجهما؟

تردد كاي ثم هز رأسه على مضض:

ـ أجل.. أعتقد هذا.. فأنت تعرفين أنها فسخت خطوبتها من ستيف شادوز وقد كانت قادرة على امتلاك مزرعته «ويستبروك» إضافة إلى مزرعتنا.. كانت الصدمة قوية على ستيف الذي لم يظهر حتى الآن اهتماماً بغيرها.. أمها هي من أقنعتها بملاحقة غارث. أعرف أنه لا يحتاج إلى أملاك إضافية.. فلديه امبراطورية بناها بنفسه.. مثل جده لكن فيكي لن تذهب إليه فقيرة.

ـ لا شيء معيب في مسألة «الدوطة»

بدأت إيف تستسلم إلى لذة العودة إلى المساحات البريّة المفتوحة. كان يوماً صافياً فيه راح جسمها يتأرجح في السيارة التي كانت تجتاز الطريق الترابية.. صاح سرب من طيور (الكوكاتو) في السماء وكأنه بساط أبيض وظهرت على مرمى البصر أرض الأحلام الواسعة التي ترعى فيها القطعان.. قالت حالمة وهي ترفع ذراعيها النحيلتين نحو السماء الزرقاء البراقة: «ما أروع هذا المنظر».

ـ لماذا تعيشين إذن في المدينة؟

ردت إيف: «أنا لا شيء هنا، فلا تدفعني إلى نسيان ذلك».

رد عليها متوداً: «بل أنت كل شيء، أنت الفرح الحقيقي».

ـ ما ألطفك!

كيف يتزوج رجل لطيف مثله من امرأة قوية كثيرة الشكوى، أم تراها أصبحت على هذا النحو عندما شعرت بالخطر يحدق بها فالسيدة كرافورد تود لو تربط المنديل حول خناق إيف عوضاً عن ربطه حول شعرها.

لكن.. لماذا تقلق؟ ربما غارث مضطر لاصطحابها أو لإبداء بعض اللطف معها، لكن ألم يلاحظ أحد أنه ينظر إليها نظرته إلى مغفلة جميلة؟ فكرت إيف بجنون: تصوروا أن غارث ينظر إليّ.. لا يمكنني أن أتصور هذا.. فستقف العاطفة والخوف والقوى الكونية كلها ضد ذلك.. إنها لن تقدر أبداً أبداً على التعامل مع رجل كغارث، فهي دونه في الجاه والذكاء.

خرج كايلوم من الجيب قائلاً:

ـ من الأفضل أن يعرف هال أنك هنا.. فلغته تصبح ملوّنة إذا ما ظن أن لا وجود للسيدات حوله.

المساعد هال، شاب من أهل البلاد الأصليين، نظر حوله، ونظر معه ميغ كذلك، ولاحظا أن «الرئيس» ليس وحده.. فنزع قبعته بلوح بها في الهواء بشدة وبصرخ:

ـ أليست هذه إيف الصغيرة!

كانت تعرف أن عليها عدم تشجيعه ولكن طباعها الجميلة ووجهها البشوش لم يعطياها الخيار، فرفعت يديها: «ميغ!»

أخذ ميغ يتمتم وهو يتقدم نحوها: «رائعة، رائعة».

يبعد الإسطبل عنها خمساً وعشرين قدماً ولكن ميغ اجتاز المسافة في وقت قياسي.. فإيف هي أجمل فتاة رآها. إنها طفلة جميلة، ومرغوبة.

ـ ماذا تفعلين هنا؟

أرسلت لمسة يدها شرارة كهربائية عبر يده القوية النحيلة.. وميغ هذا شاب في العشرينات من عمره، طويل القامة ممشوقها.

ردت إيف بمرارة: «في زيارة».

حاول ميغ أن يمازحها ساخراً:

ـ لا يستطيع غارث الاستغناء عنك.

ـ دعك من غارث.. الجدة ماسترز هي من تريد رؤيتي.. لقد ماتت والدتي ميغ.

ارتد ميغ بعنف من هول المفاجأة: «صحيح؟»

ـ قتلت في حادثة سيارة.

ـ يا إلهي! أنا آسف على ما أصابك يا حلوتي. كانت والدتك سيدة جميلة.

ـ أجل.. هكذا كانت.

ترقرقت الدموع في عيني إيف.. صحيح أن راكيل لم تكن الأم المثالية ولكنها كانت تمتلك كياسة وجمالاً تفتقر إليهما النساء.

التقت عينا ميغ اللوزيتان بعيني إيف الزمرديتين المغرورقتين بالدموع.. دفع جمال وأناقة قدها الرشيق نبض ميغ إلى التسارع بعنف، وقال لها:

ـ حبيبتي! أهناك ما أستطيع القيام به من أجلك؟

ـ يجب أن أدبر أمري بمفردي، ميغ.. شكراً لك.

سألها بقليل من العداء: «وماذا عن خطيبك؟»

ـ لقد رحل.. لم يكن غارث مهتماً له.

ـ ولم يكن مهتماً بمن سبقه.

مسحت دموعها: «صحيح، أظنني سأبقى بدون زواج بسبب غارث».

قال بصدق: «لا تخبريه باهتمامي بك من أجل مصلحتك».

ـ ولماذا عليه أن يفعل ذلك بطريقة مؤلمة؟ على أي حال، دعنا من الحديث عنه.. أخبرني بما جرى معك؟

أمسك ذراعها يقودها إلى ظل شجرة وارفة حمراء الأوراق.. الأمطار الموسمية الغزيرة التي تساقطت على المرتفعات غذت الأنهار في كانيمبلا، فغرقت السهول وامتلأت قنوات خزانات

الماء الضخمة والأخاديد المحفورة على شكل بحيرات.. منطقة كانيمبلا خضراء بشكل عجيب.. ولم تكن إيف قادرة على الانتظار حتى ترى الوايت هاند البهية المشرقة ذات المنظر الرائع البهي حيث يرى المرء أميالاً من الأزاهير البرية. لا يستطيع أي إنسان نسيان ذاك البهاء والمجد فوق صحراء رمالها حمراء كالدم.

جلسا تحت ظل الشجرة التي يدعوها السكان الأصليون (الميناريتشي)، نظر كاي بعطف إلى الشابين الجالسين تحت الشجرة.. ميغان شاب طيب، ولكن عليه ألا يهتم لأمر الآنسة إيف فكاي متأكد أن لغارث خططاً معينة بشأنها.

كانا يتبادلان الأحاديث بسرور عندما أصبح غارث وڤيكتوريا قربهما.

هبَّ ميغ واقفاً على قدميه، يمد يده إلى إيف.ليساعدها على الوقوف:

ـ مرحباً سيد ماسترز.

ابتسم غارث الذي يتحرك كفهد أسود رشيق:

ـ مرحباً ميغ.. ماذا لديك اليوم؟

ـ لم يبق عندي عمل كثير.. لقد أوصلت القطعان إلى المنطقة الجبلية.

قالت ڤيكتوريا بحدة: «هل ستبقى يا ميغ طوال النهار متكاسلاً؟»

لكن ميغ كان صبوراً مع عجرفة ابنة الرئيس.

ـ لا تخافي، أنا أقوم بعملي على أتم وجه يا ڤيكتوريا.

قالت إيف وهي تشير إلى الجياد البرية القابعة في الأسطبل.

ـ أتظن أن الجياد تكره طعم الشكال عندما تتذوقه للمرة الأولى؟

كانت قد قررت منذ زمن طويل أن تتجاهل ڤيكتوريا عندما ترفس.

ابتسم ميغ يرد عليها:

ـ إنها كالدمى الصغيرة.

كانت الجياد في الحظيرة التالية تصخب وتصهل وترفس في الهواء، فنظرت إليها إيڤ وقالت:

ـ يا لها من جياد مسكينة!

قالت ڤيكتوريا بتشدق:

ـ لا تكوني سخيفة.. على الجياد البرية أن تتعلم.

عبست إيڤ وهي ترى الجياد البرية تتراجع وسلسلة قيد مربوطة من الحافر الأمامي الأيمن إلى الحافر الخلفي الأيسر، وتمتمت:

ـ من الأفضل إذن ألا أشاهدها على هذه الحال.

كانت جياداً قوية مخيفة ولكن أجسادها بدت تنتفض خوفاً.. إيڤ تحب الجياد، وتجيد امتطاءها ولكنها لم تستمتع قط برؤية مواسم ترويضها، مع أنه إجراء ضروري لا غنى عنه.

وقال غارث: «حان وقت العودة».

ظهرت خيبة الأمل على وجه ڤيكي الأسمر:

ـ بهذه السرعة؟

قال غارث: «الجدة بانتظارنا».

ولم يكن باستطاعة ڤيكتوريا مناقشة أمر الجدة.. فقد أمضت جزءاً كبيراً من حياتها تحاول الفوز بحب السيدة العجوز التي تسميها في سرها (التتارية العجوز).

بعد عشرين دقيقة كانت إيڤ إلى جانب غارث في الطائرة الصغيرة وكان كايلوم وڤيكتوريا واقفان يلوّحان. أما إيڤ فراحت ترمي القبلات في الهواء إلى ميغ.

قال غارث، وعيناه الزرقاوان تومضان: وقحة!

ردت بعذوبة: «ما نفع المرأة إن لم تتصرف كامرأة».

وصلت الطائرة إلى نقطة الانطلاق.. واختار غارث درجة مناسبة

للطيران، وفتح الصمامات.. فارتفعت الطائرة وكأنها عصفور تتجه مباشرة نحو عين الشمس الذهبية.

قالت إيڤ: «أريد أن أتلقى دروساً في الطيران».

رد غارث متجهماً: «لا أوافق».

نظرت إلى جمال وجهه الرجولي.. ثم قالت:

ـ أتعلم أن جدتي على حق بشأنك.. أنت تفرط بالحماية.

ـ خاصة معك.. ومن أنت على أي حال؟ خمس أقدام وثلاثة إنشات من الرغب الناعم.

ـ إياك أن تعتبرني على هذا القدر من الغباء.

ـ لا يتلقى دروس الطيران إلا أبناء الأثرياء.

ـ إذن.. سأجد لنفسي رجلاً ثرياً.

هز كتفيه: «أنني أشفق عليه سلفاً».

ـ هذا رأيك أنت!.. تجيد ڤيكي بالطبع قيادة الطائرات.

ـ لڤيكتوريا قدرة على التعامل مع الآلات.

ـ أنا أرى ڤيكي شوكة في العين!

لوت ابتسامة ساخرة فمه:

ـ سأسد أذني عن هذا الكلام.. لماذا تغارين منها؟

تورد وجه إيڤ الأبيض:

ـ أغار؟ ربما تتكرم علي بذكر سبب غيرتي من ڤيكي؟

قال بعذوبة: «أخبرك إن أردت ولكنك لا تريدين».

ـ ماذا تقصد؟

ـ لا شيء، لبنك تجدين الرجل المناسب قبل أن تدمري حياتك.

ابتسمت بجفاء: «إن وجدته فلن أعرضه عليك».

رد بسخرية: «ولكنك كنت تغنين أغنية أخرى ليلة أمس».

ـ لأنني لم أكن أعرف أنه يخطط لإغوائي!

www.elromancia.com

ـ ولكنك من أعددت الجو المناسب.

أدارت رأسها تنظر إلى جناح الطائرة:

ـ قولك هذا لا يغتفر! لم أكن أعرف أن هوك.. مهووس إلى هذه الدرجة.

ضحك غارث بقسوة.

ـ ولذلك فتحت له الباب وأنت بالحرير الأخضر.

ـ وما الضير في ذلك؟

نظر إليها بسرعة، فعرف أنها جادة فيما تقول:

ـ ألم تسمعي بشيء يقال له إغواء الرجل؟

ـ لم يخطر هذا ببالي.

ـ صدقاً؟

ـ أبداً فلست امرأة تحب أن تغوي الرجال غارث.

نظرت إليه نظرة ألم.. فسارع يقول:

ـ يا الله!.. لا.. أبداً.. ربما لم تقصدي ذلك.

ـ تكاد سخريتك تقتلني!

ـ أنا آسف.

استرخت أكثر فأكثر في مقعدها وأغمضت عينيها.. يا الله! ما أشد تعبها! فهي لم تنم كثيراً ليلة أمس فقد أصرّ غارث بالأمس أن ينام في السرير، وأن تنام هي في الأريكة لأنها أقصر منه.. صحيح أنها أريكة مريحة ولكنها وجدت صعوبة في النوم.. عندما كانت هناك مستلقية راحت تفكر لماذا يزعجها قربها منه إلى هذه الدرجة، لقد تعلقت العديد من النساء بغارث لكنها من العائلة.. أهي فعلاً من العائلة؟ لقد آن لها أن تعرف حقيقة وضعها.

حين تكلم غارث انتفضت مذعورة: «ما.. ماذا؟»

ضحك: «هل أيقظتك؟»

ـ لا بأس.. كنت أشعر بالنعاس ليس إلا.

ـ بل غفوت يا حبيبتي.. ألم تكن الأريكة مريحة؟

ـ ما كان علي الاقتناع بالنوم عليها.

ـ كنت مستعداً لتشاركني السرير طفلة صغيرة.

أحست إيف بالسخط مع أنه يمازحها، ففي غارث ما يحيرها ولاتدري ما هو. قالت بصوت متساءل ضعيف:

ـ لقد وصلنا إلى الوايت هاند!

كانت عيناه كجوهرة زرقاء لامعة في وجهه الأسمر:

ـ إنها في الأفق.

حدقت إيف إلى الأرض الواسعة.

ـ ليت لي هدفاً في حياتي مثلك.. لا بد أن في الحياة أكثر من المرح والعناية بالجمال.

كانت نظراته قطعاً ساخرة: «أوافقك الرأي، أنت ابنة مارك وهذا يعني أنك قادرة على تدبر أمر نفسك».

رفعت حاجبيها: «يا للغرابة! هذا ما كنت أفكر فيه للتو».

ـ وجدت المكان المناسب على الأقل.

ـ لا أقصد أن ترعاني أنت..

استدارت إليه بسرعة، غير أن وجهها تورد أمام نظرته الممعنة الحادة.

ـ أتريدين بداية جديدة؟

ـ ساعدني غارث.. أجد صعوبة كبرى في محادثتك أو الاتصال بك.

قال متعمداً: «أتقصدين منذ أصبحت امرأة ناضجة.. لم أستطع أن أصمتك وأنت طفلة».

ـ كنت رائعاً معي يومذاك بل كنت مميزاً ولطيفاً.

ـ وكنت أنت طفلة ساحرة.. وكنت أعلق عليك آمالاً كبيرة.

تحركت بطريقة مشاكسة رغم علمها بأنه يمازحها..

ـ آه! اخرس!

لم تكن قادرة على إيجاد كلمات تفي بما يعنيه غارث لها.. كانت تشتاق إلى لطفه ولكنه يستخدم تفوقه عليها ليجرحها.. وسألته:

ـ لماذا يحدث أن من نهتم بأمرهم ينسون اللطف معنا حالما نكبر؟

التوى ثغره الجميل بابتسامة: «أتقصدين أنك تهتمين بي؟»

ـ كم أريد أن أهتم بك.. أظنني أعبدك حقاً.

ـ ألهذا تبدلين الخطاب دائماً؟

إنها تستحق سخريته هذه.

بدأت تحط الطائرة فجلست إيف تلتقط أنفاسها، وشعرت بالانفعال القديم فهي كلما نزلت على هذه الأرض شعرت بالنشاط والفرح وبالانتماء وهي تعزو السبب إلى أيام طفولتها المبكرة. نظرت إلى ما يحيط بها تحت بفرح وشوق، فها هي البحيرة التي طالما سبحت فيها وهذا هو المكان الساحر الذي يخيمون فيه غالباً وتلك الهضبة المشرفة على مزرعة الوايت هاند التي يطوف فوقها النسور والصقور والعقبان.

ما أروع رؤية الوايت هاند من الجو.

صاحت:

ـ كم أحب رؤيتها هكذا! إنها ليست أقل من معجزة!

ـ إنها رائعة في كل الأوقات. لقد طلب مني ستان بارنبي، عالم النبات، السماح له بالإقامة هنا بضعة أيام.. ليلتقط لها الصور.

ـ ما يجذبه هو سحرها الذي لا يُصدق. يستحيل أن ينبت هذا الجمال كله في رمال قاحلة، انظر إلى الزهور اللؤلؤية البيضاء التي تكاد تعمي البصر، عندما يرى المرء هذه الأميال التي لا نهاية لها..

ـ إنها تخبىء القبور المتوحشة.

ـ لا.. لا تقل هذا غارث.

لم تشأ الشعور بالحزن بتذكر المآسي القديمة. فالمستكشفين والرواد الأوائل ماتوا هنا.. ولكن جمال الأرض الوحشي كان يرفل بالمجد والإشراق.

قالت إيف وهي تشير إلى التلال:

ـ لا أستطيع الانتظار حتى أسرج جواداً.

رد غارث باقتضاب: «ستنتظرين حتى أتمكن من مرافقتك».

بدأت تعتذر عن آخر مغامرة سيئة قامت بها: «لم تكن غلطتي..»

ـ ولن تكون أبداً.

امتد أمامها مدرج الطائرات كشريط حريري ومن ورائه بدت الأبنية الملحقة بالمزرعة.. ثم بدا بيت الأجداد الشبيه بالقصور والقلاع الإنكليزية.

تنهدت إيف: «ها قد وصلنا إلى الموطن».

ـ تذكري دوماً أنه موطنك.

عندما لامست الطائرة الأرض بخفة الريش، خف إليهما عمال المزرعة. كيرك نيلسون، وكيل غارث.. وكونواي مراقب العمال وإيزاي بافلوباك، مربي الماشية. ودايفد ماسترز عم غارث.

علقت إيف: «يبدو أن الجميع بانتظارنا إلا كريستين».

بذلت في ما مضى جهدها لتقبل كريستين ولكنها لم تفلح والسبب طباع كريستين المتقلبة ووقوعها بغرام غارث بشكل مثير للشفقة وهذا ما وجدته إيف أمراً شائناً، وتظن أن الجدة ترى رأيها أيضاً. كريستين جميلة ولها ابنة اسمها آني في الرابعة من عمرها والصغيرة تفتقر بالمقارنة مع أفراد عائلة ماسترز إلى الذكاء وقد قرر الجميع أنها منحلفة

www.elromancia.com

عقلياً نوعاً ما. وكان ذلك ضربة قوية لأمها كريستين التي أرادت يائسة أن تنجب صبياً وسيماً ذكياً نشيطاً ليحتل مركزاً قريباً من العرش.

* * *

٣ ـ أخاف من لمساتك

عندما شاهدت إيف الجدة ماسترز، أجهشت بالبكاء. فربتت السيدة العجوز على ظهرها بلطف: «أهلاً بك في بيتك يا صغيرتي».

إنها سيدة مختلفة كل الاختلاف عن السيدة الباردة المخيفة التي يظنها الجميع: «إنني حمقاء حتى أبكي هكذا».

كانت الجدة قديماً طويلة أما الآن وهي في الثمانين من عمرها فكان طولها يقارب طول إيف القصيرة القامة.

قالت الجدة: «لا أدري. يعجبني هذا».

التفتت إيف لدى سماعها حركة: «كريستين».

خفق قلبها لمواجهة نظرة كريستين العميقة: عجيب أمر هذه المرأة فمعظم الناس يحاولون إظهار المحبة، ولو باسم الأخلاق الحميدة، أما كريستين فلم تكن تزعج نفسها إلا مع الجدة..

سألت بدون ود، وبدون طلب الرد: «كيف حالك إيف؟»

نظرت إيف حول المرأة: «أين صديقتي الصغيرة؟ أحضرت لها شيئاً».

ردت كريستين بقسوة: «لا أدري إن كنت سترينها اليوم. لقد عضت الآنسة بورتون هذا الصباح، ثم أخذت تصرخ حتى بُح صوتها».

هزت الجدة رأسها الأبيض بعجز: «يا للصغيرة المسكينة».

صرت كريستين على أسنانها الصغيرة البيضاء: «إنها مصيبة».

www.elromancia.com

فكرت إيف: بل هي سجينة نفسها.. إنها واثقة بأن أنيتا أذكى مما يعتقد الجميع.. ففي عينيها نوع من الإدراك، حتى وإن كانت لا تتجاوب. عندما أخذوها إلى الأطباء ليعاينوها أجمع الأطباء على أن لا عيب فيها ولكنها ظلت تتقلب من حالة إلى أخرى.

تغير وجه كريستين الغريب النحيل فجأة، فالتفتت إيف. كان غارث يدخل من الباب الأمامي الذي يشبه باب القلعة حاملاً حقائب إيف.. وفكرت في نفسها: يا إلهي!.. إنها تحبه!

سألت كريستين: «أكانت رحلتك موفقة غارث؟»

هز رأسه باختصار: «نعم، لا بأس بها».

وضع الحقائب أمام الدرج الضخم ذي الاتجاهين، وتقدم نحو الجدة، التي رفعت له خدها ليقبله.. فطبع قبلته وقال بلطف:

ـ مرحباً.. الآن أحضرت لك إيف، فأرجو أن تمنحيني قليلاً من الراحة.

ـ شكراً لك حبيبي.. أنا أحاول الاستفادة بمقدار ما أستطيع من قواك الرائعة.

وقفت كريستين جامدة، تراقب عرض المحبة هذا: الرجل والعجوز، والفتاة الشابة.. ثم قالت بصوتها الخفيف:

ـ يا لك من فتاة محظوظة إيف!.. فكري كم يكلف مجيء غارث إليك.

لم يرد عليها أحد، وضغطت الجدة على يد إيف وسألت:

ـ لماذا لم يرافقك خطيبك..

قال غارث بعذوبة: «تخاصما».

سألته كريستين: «هل أنت واثق أنك لم تطرده؟»

هز كتفيه العريضتين: «اسألي إيف».

قالت الجدة: «لم تتغير أبداً، أليس كذلك؟ ولكنني لا أرى

الاستياء على وجه إيف».

سألت كريستين بوجه متجهم: «إذن عدت غير مخطوبة».

ـ نعم.

لماذا توتر كل شيء كريستين؟

ـ أمر ملفت للنظر.. لا شك في أن من الصعب إرضاءك.. ألا توافقني الرأي غارث؟

في لهجتها ما كان يحدد رأيها بذكاء إيف.. ورد غارث عليها سئماً: «هي على الأقل تعجب بهم حتى ترد إليهم الخاتم، أتريدين مرافقتي، يا ذهبية الشعر؟»

التفتت إيف إليه بسرعة: «هل ستسمح لي بالخروج؟»

قالت كريستين بتحد:

ـ العرض مغر بدون شك ولكن أليس عليك أن تبقي برفقة الجدة؟

رفعت الجدة قامتها إلى الأعلى: «لا، فأنا أريد القيلولة لأكون نشيطة وقت العشاء اذهبي مع غارث إيف. سرني مجيئك كثيراً».

قالت كريستين: «في هذه الحال، سأنضم إليكما».

أحست إيف بما يدفعها إلى الصراخ عليها، لا! ولكن كريستين كانت قد وضعت قدمها على الدرج، لتؤكد قرارها معلنة: «ستفيدني النزهة».

تمتمت إيف حالما اختفت كريستين: «إذن.. هذا ما يسوّي الأمر!»

تدخلت الجدة: «لاطفيها عزيزتي.. فهي امرأة تعسة».

حاولت إيف طيلة الظهيرة تكييف نفسها مع طباع كريستين السيئة.. كان هناك خناجر وسهام ونظرات حادة، تُظهر بوضوح أن كريستين غير مسرورة بعودة إيف إلى الوايت هاند.

ولكن كان هناك ما يعوّض هذا كله، فقد شعرت بروعة العودة إلى

www.elromancia.com

صهوة جواد برفقة أشخاص لوحتهم الشمس . . كان عمال المزرعة يرفعون أيديهم تحية لإيف وهؤلاء العمال بمعظمهم شاهدوها وهي تكبر منذ أن كانت ملاكاً بريئاً لوحتها الشمس وزادت من ذهبية شعرها حتى أصبحت امرأة شابة .

ترجل غارث أمام حظائر الوشم ليتحدث إلى رئيس الرعاة . . وفيما كانت هي وكريستين تراقبانه انبرت الأخيرة تقول :

ـ إذن . . لقد توقفتما في (كانيمبلا)؟

بدت عينا إيف تحت إطار قبعتها العريضة ، خضراوين عميقتين شفافتين : «أجل» .

ولم تضف كلمة أخرى ، بل انتظرت كريستين لتتابع الكلام :

ـ لا أدري ماذا يرى غارث بڤيكتوريا . . إنها دون المستوى .

ـ أهذا رأيك؟

ـ وماذا عن رأيك أنت؟

ـ أراها في غاية الأناقة عندما تُعنى بثيابها .

ـ ولكنها عادية . . أما حديثها فمحوره الماشية فقط .

ـ بصراحة ، أنا معجبة بخبرتها ، إنها أمهر فارسة عرفتها . . ولا تنسي أنها ربحت السنة الماضية السباق الكبير ، أمام جميع الرجال .

ردت بحدة : «إذن هي ذكية فهي كانت تتقن كل شيء حتى قبل أن تستطيع الوقوف» .

سألتها إيف بهدوء : «وما الذي تستقبحينه فيها؟»

ـ استغفالها نفسها من أجل غارث .

رفعت إيف خصلة شعر عن عنقها : «أحقاً أنها تستغفل نفسها؟»

صاحت كريستين بمرارة :

ـ بكل تأكيد! . . ولكنها تفتقر إلى الجاذبية التي قد تثير اهتمام غارث . . ولو سألتني رأيي لقلت إنها وأمها مخطئتان في حساباتهما . .

أنا واثقة بأن غارث لم يشجع ڤيكتوريا .

قالت إيف بإشفاق لا بخبث :

ـ ولماذا القلق؟ غارث قادر على إدارة حياته بنفسه .

ـ عليه أن يتزوج يوماً ما . . فالمزرعة بحاجة إلى وريث .

ـ ليس عليه إلا أن يتخذ القرار ، فهو يعرف نساء عديدات .

ـ لكنه لا يهتم بامرأة محددة!

ردت إيف بهدوء :

ـ ربما تخدعين نفسك كريستين . . فإن كنت لا تحبين ڤيكتوريا فهذا لا يعني أن غارث لا يحبها . . وأعتقد أنها تناسبه من أوجه عدة . . والمصالح المشتركة تجعل الناس سعداء .

بدا على وجه كريستين النحيل الانزعاج والتوتر : «وكيف تعرفين؟»

ـ وما رأي العم دايڤد؟

ـ يقول إن عليّ الاهتمام بشؤوني الخاصة .

ـ اقبلي نصيحته ولتنسَ أمر ڤيكتوريا . . ماذا عنك؟ لقد خسرت الكثير من وزنك منذ رأيتك آخر مرة .

ـ أنا لا أتبع حمية . كنت دائماً نحيلة . . ولكنني لم أتزوج من قبل . . وظننت الزواج أمراً رائعاً فإذا هو ليس كما تصورت .

ما زالت نظراتها مركزة على غارث الذي كان يتحرك برشاقة بين رجاله . .

قالت إيف : «آسفة . . ربما أنت بحاجة إلى ما يشغل وقتك» .

ـ أنا أمتطي الخيل وأرسم ، وأقود الطائرة ساعة أريد .

التوت شفتاها بتكشيرة مرّة ، وأكملت :

ـ ولكنني أعرف أنني غير فعالة هنا في الوايت هاند .

ـ أعرف أنها عالم للرجال ، ولكنك تستطيعين القيام بأمور كثيرة .

www.elromancia.com

مثلا استلمي مهام الجدة. . أعرف أنها رائعة. ولكنها الآن مجرد ظل لما كانت عليه.

ضحكت كريستين:

ـ ما أشدّ سروري لأنني لم أشاهدها في ربيع أيامها! حين أحضرني دايفد إلى المنزل شعرت بالخوف منها وفي الحقيقة ما زلت أهابها.

نظرت إيف إلى كنة الجدة:

ـ لكنها ألطف الناس وأشدهم تواضعاً!

ـ وهي إلى ذلك صارمة قاسية!

صاحت إيف صيحة أجفلت الجواد اللطيف:

ـ لا! فخلف حزمها وقسوتها يوجد أطيب قلب في العالم. . إنها الوحيدة التي تخصص لي دائماً بعض الوقت. جدتي هي من تراسلني دائماً. . وجدتي هي من دعتني إلى هنا.

قالت كريستين بسخرية: «إذن أنت مدللتها الصغيرة، فهي تخرجك دائماً من الأوضاع السخيفة التي تقعين فيها».

ـ حسناً. . أحمد الله على وجود الجدات في العالم!

كان أحد العمال يضع غلاية ماء على النار. . وكانت تحمي بشرته الشقراء قبعة عريضة بالية، تطلع إلى الخلف نحو السيدتين الجالستين بهدوء فوق صهوة جواديهما، ثم قال شيئاً لصبي أسمر قفز برشاقة نحوهما. . ووقف يلوّح بشعره الطويل الأسود:

ـ أنا بنيتو فريدي آنسة. .

أشاحت كريستين بوجهها عنه، أما إيف فهزت رأسها.

ـ لبنك جئت تدعونا إلى فنجان شاي؟

ضحك بنيتو: «طبعاً آنسة».

حركت إيف جوادها وقالت لكريستين: «أترافقينني؟»

ـ لا. . شكراً لك! على المرء أن يكون ميتاً من العطش ليشرب

شاي من تلك الغلاية!

دفعت إيف قبعتها إلى الخلف فوقعت على ظهرها:

ـ لا تعرفين ماذا سيفوتك. . إن لم يكن شيئاً فهو ممتع.

ردت كريستين بجفاء: «أظنني عائدة. . فالمزرعة تشغل وقت غارث كله».

نظرت إيف إليها بقسوة ولكنها لم تنتبه لأن نظرتها لم تفارق غارث.

وهاهنا تكمن المتاعب.

تناول الجميع العشاء، كالعادة، في غرفة الطعام الرسمية الواسعة الغنية باللوحات الرائعة، وبصور الأسلاف. ركزت إيف بصرها على لوحة المحترم اللورد لورنس دونكان ماسترز الذي بدا صارماً متجهماً، وسيماً، وشبيهاً بغارث. كان قد جاء إلى أوستراليا بحثاً عن المغامرة والإثارة ومكث فيها ليؤسس أكبر أمبراطورية للماشية.

أحست فجأة بالعم دايفد يقول:

ـ ثمة طريقة وحيدة ليتعلم المرء. . وهي أصعب طريقة.

دايفد ماسترز، الرجل الطيب الوقور، ما كان ليقدر على إدارة الوايت هاند رغم كل الجهود التي قد يبذلها. فإدارتها تتطلب رجلاً قاسياً صلباً، رجلاً يستطيع الحصول بدون جهد على الاحترام والاهتمام. العم دايفد رجل رائع، لكنه لا يملك كل الصفات.

بدا على غارث القلق في رده:

ـ أعطه الوقت، سيجد لنفسه مكاناً. . في الغد سنذهب إلى التلال لنجلب الماشية الشاردة. . أريد أن ينتهي العمل بالوشم.

قالت الجدة: «حسناً إيف، بم تشعرين بعد عودتك إلى الديار؟»

قالت بهدوء وعذوبة: «أشعر بأنني لم أبتعد يوماً، إن كنت ستخرج في الغد غارث. . فسأرافقك».

www.elromancia.com

نظر إليها عبر الطاولة المتألقة: «لدي أمور كثيرة أقوم بها بدل الاعتناء بك».

ـ لكنني أستطيع الذهاب أليس كذلك عمي دايڤد؟

ـ غارث هو الرئيس.. ولكنني أعتقد أنك قادرة على العناية بنفسك.

دايڤد في الخمسين ولكنه فتي ونحيل..

سألتها كريستين بعداء ظاهر: «لماذا تريدين الذهاب؟ ستركبين الجواد لساعات وأميال في هذا الجو الحار».

ـ لأنني أعرف هذه المناطق.

ـ إنها مليئة بالأشواك كما أن فيها ماشية متوحشة.

ـ إذن.. سنمضي وقتاً رائعاً.

نظر غارث إليها من فوق أنفه المستقيم:

ـ لا.. لن تخرجي اليوم ولكن سترافقيننا في يوم آخر.

ابتسم لها العم دايڤد: «لا جدوى من مناقشة غارث حبيبتي. أتذكرين أنك جادلته في أمور كثيرة عندما كنت في الثانية عشرة وباءت جميعها بالفشل؟».

ـ في ذلك الوقت اعتليت صهوة الجواد كثيراً.

قالت كريستين: «حقاً إيڤ.. لماذا الاستعجال؟ المكان وعر جداً، وامتطاء الخيل خطر على المرأة».

قالت الجدة: «هذا صحيح.. فلنتناول القهوة في غرفة الجلوس.. ستقومين بنزهتك إيڤ قبل أن تنظف التلال من الحيوانات الشاردة».

لكن إيڤ صممت: ستقوم برحلتها في الغد.. تستطيع السيطرة على الكستنائي، وهي ليست غبية.. لقد مضت ثلاث سنوات منذ سقطت عن ظهر الجواد.. يومذاك كان غارث قد حذرها من ذلك

الجواد، ولكنها في تلك الأيام، كانت تميل إلى التهور.

فيما بعد، تحرك العم دايڤد عن مقعده الأبيض الوثير، ومد يده إلى زوجته:

ـ الليلة جميلة.. فلنقم بنزهة.

وافقت كريستين بدون اهتمام أو حماسة: «كما تريد».

كان العم دايڤد يتكلم دائماً مع زوجته التي تصغره بكثير باحترام، أما هي فلم تكن تبذل أقل جهد للتجاوب معه بالمثل.. حدقت إيڤ إليهما وهما يبتعدان.

ـ يا لهما من زوجين غريبين!

رد غارث: «لا أعرف ماذا يرى الناس في الزواج».

جلست إيڤ على سور الشرفة، ونظرت إلى النجوم.

ـ هل السبب فارق العمر؟

ـ ربما للعمر علاقة.. لا تزعجي نفسك بالأمر.

تنهدت تنهيدة عميقة:

ـ العم دايڤد رجل رائع! وماذا عن المسكينة آني؟

ـ لا أدري ما خطب أنيتا.. فإن لم تكن تصرخ، فهي تختبىء. أظنها تدفع الآنسة بورتون إلى الجنون.

ـ ومن وظفها؟

ـ كريستين.

ـ تبدو لي امرأة قديرة. ولكنها غير دافئة أو ودودة.

نهض غارث من مقعده وتقدم إلى حيث تجلس إيڤ على سور الشرفة، تعقد ذراعيها حول عمود التفت حوله دالية.

ـ أهي الخيار الخاطىء لطفلة؟

ـ لا يسمح لي وقتي بمعرفة أحوال أنيتا ولكنني أشعر بأنها تحاول أن تقول لي شيئاً..

www.elromancia.com

نظر غارث إليها وعيناه نصف مغمضتين كعيني القط:

ـ أظنك الوحيدة عدا الجدة القادرة على الوصول إليها.. بالطبع.. فما أنت بأكثر من طفلة.

قالت بخبث: «لا يراني بعضهم طفلة».

ـ أتحاولين تذكيري بحادثة الأمس البغيضة؟

رمشت بأهدابها الثقيلة: «لا أبداً».

يثيرها غارث دائماً ويغيظها.. إنه عريض المنكبين قوي البنية مفعماً بالحيوية والرجولة.. وهذا ما قد يدفعها إلى فقدان الوعي.

قالت: «أنا أهتم لأمر آني.. وأتمنى لو أساعدها».

ـ على أمها أن تقدم المساعدة أولاً ولكنها لا تفعل شيئاً للطفلة.

برقت عينا إيف الخضراوان بالغضب: «أتؤمن تلك المرأة أن ابنتها متخلفة عقلياً؟».

أسند يديه إلى السور المشرف على الحديقة:

ـ أنا لا أؤمن بهذا.. إنها طفلة غريبة الأطوار وباردة، ولا تتجاوب. ولكنني واثق أنها ليست ذكية فقط، بل لامعة الذكاء.. ليس لدي الوقت لأقضيه معها، وعندما أعود أجدها في الفراش.

قالت إيف بهدوء: «لقد كلمتني الليلة قائلة لي مرحباً».

ـ يا للطفلة المسكينة! أظنها مرتبكة خائفة.. لا تخفي كريستين خيبة أملها، أما دايڤد فيبدو خائفاً من طفلته.. إنها ورطة كبيرة.

أسندت إيف رأسها على العمود، فأخذت زهرة بوق تداعب خدها.. وقالت متوسلة: «اسمح لي بمرافقتكم غداً».

قال بلطف: «تعرفين أن الرد «لا»».

وبخته عيناها الخضراوان: «ما كنت لتقول «لا» لڤيكتوريا».

ـ أنت لست فارسة مثلها.. وليس لدي الوقت لتصرفاتك الغريبة هذه المرة.

استقامت في جلستها بسرعة فكادت تفقد توازنها: «لماذا أحضرتني إلى هنا إذن؟»

أمسك بخصرها النحيل يثبتها: «اثبتي».

فجأة، راحا يتبادلان النظرات بشدة.. هو مسيطر كل السيطرة على نفسه، وهي تحس بحرارة الإثارة.. ولكنه ما زال كما هو.. غارث.. فلماذا هي مختلفة؟..

قالت بصوت أجش منخفض: «أنا بخير».

ـ غير أن جسدك ينتفض كله.

ـ كدت أقع.

ما تزال مأسورة بنظرته، تتساءل برعب: ماذا دهاني؟ طالما حملها غارث وضمها إليه ومازحها.. إنه جزء من حياتها.. مع ذلك أصبح كل شيء غريباً..

اشتدت يديه حول خصرها ثم رفعهما قليلاً: «فيم تفكرين؟»

بللت شفتيها الجميلتين بطرف لسانها:

ـ إن أخبرتك فهل تضحك؟

ـ جربيني.

ـ أجد صعوبة أحياناً في معرفة إلى أي درجة أعتبرك من أفراد العائلة بالنسبة لي.

ـ تقصدين أن عليك ألا ترتجفي عندما تكونين بين ذراعي؟

همست، مذهولة بالأحاسيس الثائرة داخلها: «صحيح».

ـ وماذا عن هذا الإحساس؟ أهو جيد أم سيء؟

ابتلعت ريقها بصعوبة لأنها تعرف أنه يسخر منها:

ـ بل هو إحساس غريب.

ـ حسناً.. تعرفين ما يقال: معرفة ما في النفس أمر مؤلم.

ـ أعتقد أنني لا أعرف الكثير عن الرجال!

www.elromancia.com

ـ مع أنك انخطبت مرتين.

أغمضت عينيها لئلا يرى بؤسها:

ـ أنا أحب أن أقوم بكل شيء حسب الأصول.. دعني أذهب غارث.

ـ لماذا؟ أنت تنسجمين كل الانسجام مع يدي.

همست: «يداك قويتان وأنا خائفة من لمستهما».

ـ يا الله!

اشتدت عضلات فكه.. ثم شعرت في لحظات مذعورة أنهما سيتخطيان القواعد التي سادت بينهما طوال العمر، ليصلا إلى وضع تستحيل العودة عنه.. ولكن، سرعان ما تعالى صوت من الحديقة، وأخذت كريستين ترتقي الدرج بحذائها الأحمر العالي الكعبين، تنظر إليهما بحقد:

ـ لن تحاولي العبث مع غارث، إيف؟

رد غارث ببرود: «ليست المرة الأولى التي تفعل ذلك فقد حاولت هذا منذ أن كانت في المهد».

لحقت إيف بما ألمح إليه غارث، بالرغم من سخطها:

ـ صحيح! فالعبث مرحلة مهمة في نمو الفتاة.

ردت كريستين ببرود:

ـ كنت طفلة متفوقة. ومن الجيد أن ينظر إليك غارث هكذا الآن.

سألتها إيف: «كيف؟»

ـ مسؤولية!

تدفق اللون الأحمر إلى وجه كريستين، وتقدمت الجدة إلى الشرفة، تحس بالعداء في وقفة زوجة ابنها المتوترة:

ـ ماذا يجري؟ ماذا حدث؟

وضع غارث يده على كتف إيف:

ـ كنا نتحدث عن الأيام الماضية..

قالت الجدة: «كانت أياماً طيبة كم ضحكنا فيها».

وقفت كرستين لحظة تنظر إليهم، ثم استدارت إلى الأبواب العريضة قائلة: «اعذروني سآوي إلى فراشي».

سألتها الجدة: «ألم يرافقك دايڤد؟»

هزت كريستين رأسها الأسود بارتباك:

ـ لقد ذهب إلى الأسطبل ليستعلم عن شيء ما.. أظنه أحياناً يفضل الجياد.

قالت الجدة بصوت لطيف: «لا تكوني سخيفة، عزيزتي».

ردت كريستين متوترة: «رجاء جدتي، عمتم مساء».

بعد ذهاب كريستين قالت الجدة بأسف: «ليت دايڤد يضاعف اهتمامه بها».

أجلس غارث جدته فوق كرسي: «وماذا تتوقعين منه أن يفعل؟»

رفعت نظرها إليه بحدة:

ـ هل ستفتقده إن صحبها في إجازة طويلة؟

ـ سأفتقده كثيراً.. ولكننا سنتدبر الأمر. إنما تعرفين أن دايڤد قد لا يرغب في الذهاب؟

مدت الجدة يدها إلى إيف وكأنما تسعى للعزاء:

ـ هذا واجب عليه! فسيفيدها الابتعاد. أرى كريستين في غاية التعاسة.

قال غارث ببرود: «لديها زوج وطفلة ولا تعاني من مشاكل مادية، فلماذا التعاسة؟»

لكن الجدة لم تقتنع بقوله:

ـ إنها في الأساس ابنة مدينة! لقد شاهدت الصغيرة أنينا الليلة إيف.. هل أنت قادرة على العناية بها؟

www.elromancia.com

رفعت إيڤ وجهها، كزهرة ناعمة في إطار من ذهب:

ـ طبعاً جدتي! أظنني أفهمها قليلاً.

بدت الجدة حزينة مبتعدة: «تعرفين أنها ليست متخلفة عقلياً، لقد عرضناها على كل الأخصائيين».

علق غارث بجفاء: «إن سافر دايڤد وكريستين فقد يعود ذلك بالفائدة على الصغيرة لأنهما لا يقدّمان أبداً المساعدة لابنتهما».

قالت الجدة: «ولكنهما متضايقان من أجلها.. فالأمر ليس سهلاً.. لم أرَ قط فتاة لا تتجاوب مثلها. ظننتها تعاني من انطواء نفسي ولكنها ليست هكذا.. أتذكر إيڤ وهي في العمر نفسه؟ كانت تضج حياة وسعادة.. ولكن الضحك مفقود في قاموس أنيتا.. قالت لي الآنسة بورتون إنها أصيبت بالقنوط منها».

قال غارث بخشونة: «أتقصد تلك المرأة أنها لا تريد البقاء».

ـ لم تقل هذا..

ـ لا أظن أنها المربية المناسبة لأنيتا.

هزت الجدة رأسها الأبيض المرتب:

ـ معها كتب توصية عالية المستوى.. مع ذلك عجزت عن الوصول إلى أعماق الطفلة وهذا حالنا جميعاً ولا أفهم السبب.

أحست إيڤ بالألم وهي ترى الخطوط التي برزت على جانبي ثغر السيدة العجوز.. وقالت:

ـ لا تقلقي جدتي! أعتقد أنها سرّت لرؤيتي اليوم.

أمسكت الجدة بوجه إيڤ تقبلها:

ـ ولمَ لا؟ أنت جميلة كالملائكة.

قال غارث: «هذا صحيح، لن أسرّ إن نظرت وقتاً طويلاً إلى وجه الآنسة بورتون».

استدار بسرعة عندما برز عمه إلى دائرة الضوء في أسفل درج

الحديقة:

ـ هل من خطب؟

رد دايڤد بصوت لطيف عميق.

ـ لا أبداً.. آن وقت النوم فسنتطلق باكراً في الصباح.

نظر حوله فلاحظ غياب كريستين:

ـ أوت كريستين إلى فراشها؟

ردت الجدة، وقد تحول التعبير الحزين على وجهها إلى حزم:

ـ أجل.. ابق معي قليلاً دايڤد.. أريد أن أكلمك.

بدا وكأن جسم دايڤد الطويل قد تقلص:

ـ أمي إن كنت تريدين مني اصطحاب كريستين في رحلة، فلن أفعل. إن الأعمال كثيرة وأمامنا سوق الماشية الذي لا أريد أن يفوتني، واعلمي أن السفر لن يحل أية مشكلة.

مد غارث يده إلى إيڤ التي ما تزال جالسة:

ـ هيا، قفي إيڤ.

نهضت إيڤ ودخلت معه إلى المنزل.

ـ تصبحان على خير.

يتقبل العم دايڤد مشكلة.. لكن ألا يغمض عينه عن مشكلة أخرى؟ غارث نقيض عمه ومن السهل جداً الانجذاب إليه.. وكريستين، امرأة محبطة تعيسة..

* * *

٤ ـ الحورية الباردة

انطلق الرجال قبل طلوع الفجر.. كانت إيف في هذا الوقت مستيقظة ولكن بالطبع لم تستطع مرافقتهم فكان أن شعرت بالبؤس. لكنها راغبة في مساعدة الجدة والصغيرة أنيتا.. عندما راجعت النتائج القديمة، لم تستطع التفاؤل كثيراً ولكنها كانت خائفة من الآنسة بورتون، خائفة أن تغضبها، مع أنها لا تعرف لهذا سبباً. لقد أعطت المرأة رغم عدم جاذبيتها نتائج مرضية في مراكز أخرى اشتغلت فيها.. فهل من العدل توقع الجمال إضافة إلى المؤهلات الضرورية؟ صحيح أنها لم تكن بشعة ولكن وجهها وطباعها أقل من لطيفة، في نظر إيف.. ولم يغب عن تفكيرها أنه كان يمكن لأنيتا الاستجابة لمربية أكثر شباباً، وأجمل طلعة..

لم يكن في غرفة الطعام أحد وقت الفطور إلا كوك الطباخة.

ـ صباح الخير سيدة كوك!

حسبما تعرف إيف، لا أحد في الوايت هاند ينادي مدبرة المنزل سوى باسم الطباخة (كوك).. قالت السيدة كوك مبتسمة لانعكاس صورة إيف على مرآة المطبخ الفيكتوري الطراز..

ـ صباح الخير آنستي. ماذا تريدين أن تأكلي.

ـ كالعادة.. فواكه، سيريل، مسحوق الحنطة، أما البيض المسلوق فلا أريده ثم أريد قهوتك الرائعة وقطعتين من التوست.

ردت السيدة كوك ممازحة: «روبدك، لست قادرة على تلبية كل ما تطلبين» ولكنها في الواقع كانت مسرورة بوجود إيف هنا خاصة وأنها أول من سمع صراخها حين أطلت على الدنيا.

قالت إيف بصوت جاد وهي تبعد صينية الفضة جانباً:

ـ أريد أن أسألك أمراً.

همست بصوت حاد مبحوح: «ليس عن الآنسة بورتون الشريرة تلك».

التفتت إيف بقلق إلى الباب: «ألا تعجبك؟».

ـ لا تقلقي، فهي لا تأتي إلى هذه الغرفة في مثل هذه الساعة.. إنها لا تعجبني.. ولكنني لم أخبر رأيي لأحد سواك، إنها كالدواء المر.

ـ لماذا؟

ـ إنها متجهمة وشرسة، لقد مضى على وجودها هنا ستة أشهر ولم أرها يوماً ضاحكة، إن لم تكلمينها ظلت صامتة. أعتقد أن من الغلط الجسيم بقاءها مع تلك الطفلة، لا أنكر أنها تستطيع التعامل معها في الأوقات التي لا تعاني منها الصغيرة من نوبات عصبية ولكنني أرى أن أنيتا تزداد انطواء على نفسها.

قالت إيف: «طلبت مني جدتي قضاء بعض الأوقات معها».

وقفت كوك قرب الطاولة المستديرة تلوي يديها:

ـ حسناً، افعلي هذا دائماً! فأشباه تلك المرأة يسببون الألم!

تنهدت تنهيدة عميقة:

ـ ولا يبدو أن هناك تفسيراً لحالتها. أعرف أنها ليست متخلفة. بل هي عاطفية إذا ما حطم أحد جدران انطوائها.. كنت مرة في المطبخ أبحث عن خليط البهارات، فتقدمت إلى الخزانة ووجدتها لي.. والله يعلم أن غرفتها تعج بالكتب. وأعتقد أنها تجيد القراءة، ولكن الآنسة بورتون ترفض الفكرة وتقول إنها بطيئة الاستيعاب.

قالت إيف بقلق:

ـ ما تحتاجه حقاً هو علاج نفسي.. لأنها منطوية ذاتياً.

سرعان ما اتضح أن الآنسة بورتون لن تستجيب بلطف لأي نوع من التدخل. قالت باقتضاب حينما عرفت إيف عن نفسها في غرفة الدرس:

ـ صباح الخير آنسة ماسترز. هل لي أن أدخل؟

أبعدت المربية يدها عن الباب: «طبعاً».

ـ جئت ألقي التحية على أنيتا.

تساءلت إيف عن سبب عدائية المربية.. فهي تكره الشجار وكل ما هو غير لطيف..

قالت المربية: «أنيتا في إحدى نوباتها المتجهمة المنطوية هذا الصباح.. وقد اضطررت إلى حبسها».

ـ ماذا فعلت؟

شعرت بثورة غضب وسارعت المربية إلى القول:

ـ إن وعدتني بأن تكون فتاة طيبة، أخرجتها. لم تتح لي الفرصة لشرح آخر خلاف وقع بيننا آنسة ماسترز. ولكن ثقي بكلمتي.. فأنيتا شريرة جداً جداً..

قاطعتها إيف: ليتك لا تقفلين الباب عليها فما هذا التصرف بصائب.

ـ هذا جزء من تدريبها، وهي تعرف أن العقاب بانتظارها إذا حطمت الأشياء.

دنت إيف من الباب الداخلي في غرفة الدرس:

ـ أهي هنا؟

ـ أطلب منك آنسة ماسترز ألا تتدخلي!

لكن مصلحة أنيتا هي الأهم.. وليس غضب إيف المتصاعد.. فقالت بلطف:

ـ صدقيني.. لن أتدخل. لكنني لا أراها كثيراً. ولا أحب أن أضيع الفرصة.. فهل لي أن أراها؟

ـ آنسة ماسترز أنت بذلك تهددين بنسف سلطاتي.

ـ أبداً.. أريد فقط رؤيتها.. إنها طفلة في الرابعة من عمرها.

ـ إنها صعبة المراس بشكل رهيب...

ـ ألسنا جميعاً نحاول مساعدتها؟ أنا لا أؤمن بوجوب حبسها في غرفتها لأن في ذلك ضرراً كبيراً على الطفلة.

تورد وجه الآنسة بورتون القبيح:

ـ هل أنت مؤهلة لتحكمي على مثل هذا؟

ـ درست علم النفس في الجامعة.. وأعرف أن من المهم للطفل أن يحس بحريته.

ـ والأهم ألا ندع هذه الطفلة بالذات تستمر في وقاحتها وتدمير أغراضها.

ـ وهل لطفل متخلف عقلياً أن يكون وقحاً؟

ـ آه، هيا الآن، قد يكونون في غاية المكر.

قالت إيف بهدوء:

ـ أنيتا غير ماكرة.. فليتك تفهمينها أكثر، أعرف أن الأطفال يعتمدون كثيراً على تصرفات من هم أكبر سناً، وعلى تعابير الوجوه، ولهجة الصوت.. وبإمكاننا جميعاً أن نكون لطفاء كيّسين صبورين.

سألت الآنسة بورتون بصوت حاد رفيع: «أتعلمينني كيف أقوم بعملي آنسة ماسترز؟»

حاولت الرد بطلف:

ـ تعرفين أنني لا أفعل هذا.. المسألة أنني أريد تقديم العون.

قالت المرأة بلهجة المنتصرين: «ستساعدينني إذا ما تركتني أتابع عملي، فعندي المؤهلات الضرورية والتدريب اللازم والأهم من هذا

www.elromancia.com

كله أنا عندي دعم أم الطفلة».

نظرت إليها إيف باهتمام: «لماذا لا تنادينها أنيتا؟ فلا أسمعك تنادينها إلا بالطفلة، إنها إنسانة!».

ـ أظن أن عليك الخروج من هنا أيتها الآنسة. أما رؤية الطفلة فوقف على تصرفها.. فقد منحتني السيدة ماسترز كامل الصلاحية والسلطة.

ابتعدت إيف عن باب غرفة أنيتا، وهي متأكدة أنها ملتصقة به من الجانب الآخر تستمع إلى ما يجري.

ـ سأكلمها إذن.

إن الأولاد عادة يرسلون إلى غرفهم كنوع من العقاب، لكن ما يبغيهم فيها هو سيطرة الأهل، وليس الأبواب الموصدة!

اضطرت إيف للانتظار نصف ساعة قبل أن تشق كريستين طريقها بكل كسل على الدرج. ولأول مرة أحست إيف بالسرور لرؤيتها:

ـ هل لي أن أكلمك كريستين؟

ـ عم تريدين التحدث؟

ـ عن أنيتا.

تنهدت كريستين: «رجاءً، لا تفعلي».

ـ علينا أن نتحدث عن أنيتا. أتعرفين أنها محبوسة الآن في غرفتها عقاباً لها؟.

ـ اتركي كل شيء على حاله ولا تزجي أنفك في هذا الموضوع.

ـ ولكنها ابنة عمي.

ردت بفظاظة: «غير صحيح، كان والدك ابن عم والدها».

ـ وما زلنا أبناء عم. أنا واثقة أنك لم تسجني مرة وراء باب غرفتك في طفولتك.

ـ ولكنني كنت طفلة سوية! وما يقتلني أن آني بلهاء، وليست بلهاء

فحسب بل هي بطيئة الاستيعاب.. وفي بعض الأحيان أشك في أنها غير عادية.. وهذا ما يثيرني.. أعني أنني جميلة وأفراد عائلتي يتمتعون بالجمال، ودايڤد وسيم ولكن انظري إليها.

أرادت إيف أن تقول رأيها الصريح بكريستين المهملة لواجباتها كأم ولكن الرغبة في مساعدة أنيتا كانت أقوى عندها.

ـ أتسمحين لي باصطحابها في نزهات؟

ردت بلؤم لاذع: «أنت غير كفؤة للعناية بنفسك».

ـ أنا قادرة على ذلك حين يناسبني الأمر، ربما تريني متهورة بركوب الخيل ولكنني أقود السيارة بمهارة وأجيد السباحة لذا لا تخشي على أنيتا فستكون آمنة معي.

ـ استخدمنا المربية لتعتني بها.. أنا واثقة أن غايتك نبيلة ولكنني لا أثق بتصرفاتك. إن أنيتا بحاجة إلى يد حازمة تفتقرين إليها.

هل تحيل المشكلة إلى الجدة؟ غير أن الجدة امرأة عجوز وقد عانت كثيراً في حياتها.. ولا تريد أن تقلقها أو أن تعمّق أخاديد السنين والكرب على وجهها.. ليس أمامها إلا غارث. فالعم دايڤد الذي بلغ السادسة والأربعين، لا يبدو متمسكاً كثيراً بأبوته..

كانت الأسطبلات فارغة إلا من رجلين يقومان بأعمال التنظيف.

ـ صباح الخير آنسة.

ـ صباح الخير كورتني.

بدا صوتها أجش ورسمياً..

ـ هل لك أن تسرج لي الكستنائي الذي كان معي بالأمس؟

ـ بالتأكيد آنسة.. إلى أين تريدين الذهاب؟

ـ إلى هنا أو هناك.

لم يكن كورتني موافقاً فما زال الجميع يذكرون كيف أطاح بها الحصان عن ظهره، وكيف جن جنون المعلم الذي كاد يسلخ جلد

أرنولد الذي أسرجه لها. لم يئس كورتني الحادثة فحار ماذا يفعل.

ـ أرجوك لا تذهبي إلى التلال.. هل ستذهبين يا آنسة!

ـ لم أقرر كورتني.

ـ من المفروض بك ألا تتوجهي إلى هناك آنسة.. فسيجن جنون الرئيس!

ـ أنا أرغب فقط في نزهة كورتني.. والآن أسرج لي الكستنائي.

ـ هل لي بمرافقتك؟

ـ أعتقد أن لديك أعمالاً كثيرة.

أخيراً استسلم الرجل إلى الأمر المحتوم.

ـ حسن آنسة.. ولكن أرجو ألا تكوني السبب في مشاكل بيني وبين المعلم.

ـ وماذا تعني بقولك هذا؟

تورد وجه كورتني: «أتذكرين الخلاف الذي وقع بسبب الحصان؟»

ـ لقد قلت للسيد ماسترز إنها لم تكن غلطة أرنولد.

ضحك ضحكة متوترة:

ـ لم يكن هذا كافياً آنسة، ما رأيت ولم أر «المعلم» غاضباً كتلك المرة.. كان على أرنولد أن يحاول منعك!

ما تزال إيف نادمة على أخطائها الماضية ولكنها لن تمضي العمر في توبيخ نفسها.

قالت: «أعتقد هذا.. ولكن الأمر مختلف هذه المرة كورتني.. فأنا قادرة على كبح جماح الكستنائي، ولن أسبب لك المشاكل».

ابتعد كورتني بثبات، مع أنه غير متأكد مما ستقدم عليه الآنسة فهي شابة غريبة الأطوار أحياناً.

ولكن إيف قصدت ذلك المكان عمداً.. ولم يكن في نيتها

الوقوف في طريق الرجال، بل البقاء بعيدة. لقد أثر فيها غارث دوما بسبب مبالغته في حمايتها فهو يعاملها وكأنها قاصر، بسبب بضع حوادث جرت معها في الماضي.. وما كانت تسميه شجاعة منها كان يسميه هو تهوراً والمحظور عليها مسموح لثيكتوريا.

انطلق الحصان كالريح مطيعاً أوامرها فشعرت بانقطاع أنفاسها، وبالانتعاش. أحب الكستنائي السرعة وأحبتها إيف أيضاً فما أعظم الشعور بالبرية والحرية.

يا لعظمة الوايت هاند! إنها مكانها المفضل منذ الطفولة.. لكن إيف كانت مأسورة بها لأنها مولعة بالفضاء والسكون.. وبالسراب الذي يرفع بسرعة خيالات لا تصدق..

شدت إيف زمام الجواد الكستنائي ليتوقف وراحت تنظر إلى الأفق الممتد وإلى المساحات الواسعة الغنية بالأزهار الملونة.. أهناك ما يضاهي حديقة وسط الصحراء؟.. لا، لا يمكن ذلك أبداً

تابعت إيف الانطلاق وهي تفكر أنها في تقديم المساعدة لأنينا قد تجد نفسها. لا يمكنها الاستمرار بالعيش على سيرتها السابقة كزج نفسها في علاقات لا طعم لها ولا لون، وترمي بنفسها على رجال هم في الواقع نقيض غارث.

كان منظر قمة كالكا عظيماً للمهرجانات الصاخبة الدينية لأهل أوستراليا الأصليين، فجدرانه الصخرية الضخمة ترتفع بشكل حاد وسط المنبسطات.. أما شمس النهار، فتنعكس فوق الصخور الكوارتزية اللامعة.. بدت الآن المنحدرات الوعرة، والممرات المتكسرة الضيقة، كتلة متراصة من النباتات الريشية الأوراق، والألوان البنفسجية والقرمزية والخضراء.. في الأعلى، على واجهة الجرف الصخري كهوف جدرانها الناعمة البالية مكسوة، برسومات عن صيد السمك وصيد الطيور.

إن جمع الماشية الشاردة والمجموعات التائهة أصعب مهمة يقوم بها الرعاة. ففي السهول الواسعة، حلت الهلكوبتر مكان الفرسان، ولكن الرجال مضطرين لامتطاء الخيل للوصول إلى المنطقة الجبلية الوعرة.

اتخذت إيف طريقاً للماشية تفضي إلى سلسلة من القمم المسطحة. في طفولتها كانت تبدي الذهول عندما تجد بقايا حيوانات بحرية فوق الصخور العتيقة. إنها بلاد غريبة، مذهلة. أرض الحرارة والصحراء والصمت.

كان الكستنائي ينطلق كالمشناق نحو القمة، وما هي إلا عشر دقائق، حتى سمعت إيف صوتاً بعيداً لرجال وكلاب وماشية. ستكون قمة المنبسط أهم نقطة للمنظر. إنها لا تبغي الوقوف في وجه أحد بل جل ما تريده هو التحدث إلى غارث. فقد كان صعب عليها الابتعاد عن الآنسة بورتون في وقت تحس فيه برغبة في تحطيم الباب المقفل.

تعالت الأصوات وارتدّ صدى الصياح والضربات، رأت على مقربة منها كلب الدينغو المتوحش المسعور، يربض منتظراً هذا الصياح فقط. لقد هاجم أحد العجول الصغيرة، وها هو يربض متربصاً بالجواد وفارسته. إنه جريح، لقد أصيب بطلق ناري ولكنه لم يمت وها هو بانتظار الوقت حتى يشفى.

لم يصدر عن الكلب المتوحش صوت على الإطلاق ولكن عندما مرت به وثب وثبة يريد التهام قدمها المنتعلة حذاء. إن من يعرف هذا النوع من الكلاب المتوحشة، يعرف أنه يقتل العجول، ويهاجم المزارع وكلابها وينقض على الرعاة الممتطين جيادهم.

مع أنها فوجئت كثيراً، تصرفت بشكل جيد فقد تمسكت بلجام الجواد الذي ارتد إلى الوراء وبدأ يلتف في دوائر صاهلاً. أما إيف فحاولت مقاومة «الدينغو» بقبعتها وراحت تصيح: ابتعد عني أيها

المتوحش! ثم لم تلبث أن تغيرت خطة دفاعها، وراحت توجه الجواد يمنة ويسرى.. علّ الجواد يركل بأحد حوافره «الدينغو». إنها فرصتها الوحيدة لأن أحد أنيابه انغرز في حذاء ركابها. صاحت تشجع الجواد، وتشتم «الدينغو» ولكنه ظل يهجم عليها غاضباً، مصمماً على الإطاحة بها عن صهوة جوادها.

بعد لحظة سمعت صوتاً مألوفاً.. إنه نباح عنيف شرس لكلب رعاة وقف فوقهم على الصخور. سرعان ما أطلق «الدينغو» عواء تقشعر له الأبدان، واستدار ليواجه الكلب البعيد عنه عشرين قدماً.

ستكون معركة حتى الموت.. وكلاب المزرعة لا تقدر بثمن وقد دربت للقيام بأعمال تناسبها.

وثب الكلبان، ثم ما هي إلا هنيهة حتى أصبح الهواء مغبراً بشعاً بأصوات عويلهما ونباحهما.

المنظر مخيف ومرعب فحاولت إيف مهاجمتهما لإنهاء العراك. ولكن، لم يعرها أي منهما اهتماماً، بل اندفعا يسعى كل منهما إلى عنق الآخر.

فجأة، جاء الصوت من ناحية أخرى.. فمن بعيد ارتسم لها راكب أوقف جواده ثم صوّب بحذر نحو الدينغو فأرداه قتيلا.. وانتهى الهجوم الوحشي.. ولكن الكستنائي الذي أجفله الطلق الناري ارتد إلى الوراء رافعاً قائمتيه الأماميتين فطرح فارسته أرضاً.. فحطت فوق الأشواك كلاعبة جمباز. لم تصب بأذى، ولكنها كانت مصدومة. أما الكستنائي فعدا راكضاً تاركاً وراءه ذنباً طويلاً من الغبار الأحمر.

ـ لا أفهم لماذا لا تفعلين ما يقال لك!

انحنى غارث فوقها وعيناه الزرقاوان مشتعلتان، فصاحت به: «حسناً، حسناً».

ـ هل تأذيت؟

استوت جالسة: «لا أبداً، كيف حال الكحلي؟»

ـ غارق بالدماء.. ماذا تفعلين هنا حباً بالله؟

ـ جئت على أمل أن أكلمك.

قال بطريقته الارستقراطية الخشنة:

ـ اجلسي هادئة.. حذاؤك ممزق.. أكنت تعرفين هذا؟

ـ غريب.. لم أحس بشيء.

ـ فلألق نظرة إذن..

نزع بكل لطف مداسها وجواربها، وهذا أمر غريب نظراً لتصرفه المخيف. ثم وضع يده على قدمها فنظرت إلى قدمها المدماة: «يا لسوء حظي!».

ـ هل حُقنت حقنة للكزاز؟

أحست أنها كالعادة مخطئة فاعتذرت.

ـ كنت أنوي هذا.

ـ يا إلهي! يجب أن تُحقني حالاً.

ـ أكره رؤية الدم.

ـ لا تنظري إذن.

انحنى فوقها وحملها وكأنها ريشة خفيفة.

ـ أنت تذهلينني يا إيف، لأنك الشخص الوحيد الذي يتجاهل أوامري، فلماذا؟

ـ ولماذا لا أتجاهلها؟ إنه لفظيع تنفيذ أوامرك جميعها.

شاهدت كلب الرعاة، فأصيبت بالهلع: «آه! يا للمسكين».

وكادت تبكي، فالكحلي أنقذ حياتها.. نظر غارث إليها: «توقفي عن البكاء، سيكون على ما يرام».

ـ هذا ما أرجوه.

وضعها غارث على فرسه السوداء الجميلة التي تقدمت منه حين

أشار إليها.. ثم التفت لبحيي كيرك وكونواي اللذين هرعا إليهما بسرعة جنونية.. بدا على كونواي الاستياء لرؤية الكلبين.. وسأل كيرك: «أليس هذا هو الكلب الذي كنا نحاول اصطياده؟ عفواً يا آنسة».

تجاوزها بسرعة ليلقي نظرة إلى جسد الدينغو الضخم..

التفت غارث إليه: «نعم، ابذل ما بوسعك من أجل الكحلي».

رد كونواي مدرب الكلب بنفسه:

ـ طبعاً سيدي! يا لها من طلقة صائبة!

ثم التفت إلى إيف سائلاً: «هل تأذيت؟»

هزت رأسها وسحبت نفساً متحشرجاً:

ـ كنت محظوظة لأن الكحلي حضر بسرعة لينقذني.

ـ إنه كلب رائع.. ولكن لولا وصول المعلم في اللحظة المناسبة لوقعت كارثة.

طأطأت إيف رأسها الأشقر سخطاً: «أجل».

اعتلى غارث السرج وراءها يشدها إليه، وقال ساخراً:

ـ ها قد عدنا مرة أخرى.. يا ذات الشعر الأشقر المسترسل!

ـ لا أدري أين هي قبعتي.

نظر كونواي إلى أسفل التل:

ـ إنها في مكان بعيد في الأسفل.

قال له غارث: «سأرجع إيف إلى المنزل».

قالت: «لا تزعج نفسك».

تجاهلها الثلاثة ثم قال كونواي:

ـ لا تقلق يا معلم.. سأتدبر الأمور هنا. في الواقع لقد رفع صوت ذلك الدينغو معنوياتي.

أخذ الجواد يجتاز المنحدرات الملتوية حتى وصلا إلى بحيرة

جميلة فتحركت الفرس فوق العشب وراحت تخطو بين زهور الزنبق البري الزكي الرائحة..

قال غارث: «فلننظف هذا الجرح».

ـ ألا يمكنك الانتظار حتى العودة إلى المنزل؟

ـ لا..

ترجل غارث بسرعة ثم رفع ذراعيه إلى إيف.

نظرت إلى زر قميصه اللؤلؤي تشعر بالاحمرار يغزو جسمها كله فمجرد وجودها معه على الجواد يحرك مشاعرها.

قالت: «لم أظن قط أنني سأقع في المتاعب».

ـ وهذا ما يتكرر دائماً للأسف.

كانا في غاية التقارب فشعرت بأنها على وشك أن تميل نحوه.

ـ إيف..؟ ما بك الآن؟

رفع رأسه بحدة لينظر في عينيها، وفكرت: إنني خائفة.. خائفة.. يا الله! لقد عرفت غارث طوال حياتها.. وقد خالته في أحيان كثيرة يوشك على قتلها أما الآن فهناك خطر شرير أسود يطل برأسه.

سألها بسرعة: «هل سيغمى عليك؟»

شدت أصابعه لحم خصرها.. فقالت بصوت متوسل:

ـ لا أظن هذا.. لا تقلق علي.. بإمكاني القفز على ساق واحدة حتى الماء.

ـ لا تتعبي نفسك أيتها المسكينة.. سأحملك.. فهذا على ما يبدو أحد أدواري في الحياة.

ـ على الأقل، أنا خفيفة الوزن بحيث لن يؤذي ثقلي ظهرك.

كانت المياه باردة بشكل لم تتوقعه.

ـ آه، إنها متجمدة.

دفعها بحزم للجلوس على صخرة فيما راح ينظف جرحها ولكي

تقاوم جنون مشاعرها ولئلا تتلمس خديه البرونزيين المصقولين.. ولئلا تدس أناملها في موجات شعره الناعم راحت تحدق إلى قمم الأشجار الخضراء..

سألها غارث، وقد رفع وجهه الأسمر الجاد القلق:

ـ أما زال يؤلمك؟

ـ قليلاً.

إن ألم قدمها غير مهم أبداً إذا ما قورن مع خفقات قلبها.. ارتجف جسمها كله فقالت: «أنت في غاية الطيبة معي غارث».

رد متهكماً: «أوَ لا أعرف ذلك؟»

همست: «المكان جميل هنا، لا شك أنه كان في أحد الأيام مكاناً مقدساً».

ـ وفي أحد الأيام كنت تعيشين في البحر وكان لك ذيل سمكة.

في صوته ما جعلها تحبس أنفاسها.. إنها تشعر بما يحيط بها من سماء وماء وأشجار وهدوء ولكن أكثر ما كانت تشعر به هو الرجل الممسك بقدمها الصغيرة.

نظرت إليه وتعبير غريب يطل من عينيها الخضراوين:

ـ فكرتك عني غريبة..

ـ سامحيني.. ليست فكرتي عنك غريبة.. فأنت «سيرينه» إحدى حوريات الجمال إيف. بالأمس كنت كذلك واليوم أيضاً وغداً.

ـ وهل لديك مناعة ضدي؟

حالما تفوهت بهذه الكلمات، ارتجفت، فقد انسلت الكلمات منها لا إرادياً.

ـ يا حلوتي.. أعرف أنك تحبين فتنة الرجال.

مد يده إلى خصلة من شعرها الذهبي، وأرجعها إلى الوراء.

ـ ولكنني باردة يا غارث وهذا عكس ما أبدو عليه.

www.elromancia.com

قال بصوت ساخر: «باردة».

ـ أجل.. وللأسف لم يغير فيَّ خطيبان هذه البرودة.

ـ أشفق عليك حبيبتي.

ـ آه ليتك تصدقني.. لقد اكتشفت هذا بنفسي.

كانت لهجته لاذعة كتعبير وجهه:

ـ إن كنت باردة فأنا مسرور بذلك. ربما ستطلبين مني معانقتك ولا أظن أن بالك سيطمئن حتى أفعل.

رفعت يديها إلى فوق تحمي نفسها مذعورة: «أنت مجنون».

ـ بل أنا صادق إيف، أما أنت، فلا.

كان الجو عابقاً برائحة الزنبق البري، وكان في عينيها لهفة حقيقية.. لقد أدركت متأخرة التفاهات التي نطقتها.. غارث يعني كثيراً من الأشياء لها: القوة والأمان ولكنها الآن منزعجة، منزعجة من الإثارة، الإثارة المخيفة، الخطرة الباهرة.. إنها لا تريد.. لا تريد.. إنها تخجل حتى من التفكير.

وقف غارث فجأة، وفي عينيه الزرقاوين توتر محدد:

ـ هيا بنا، يا باردتي الجميلة.. يجب أن أعيدك إلى المنزل.

مدت يدها إليه، وهي تحس بأسوأ وخزات البؤس.. أمن طبيعة المرأة أن تكون حمقاء إلى حد الجنون؟

حملها بين ذراعيه: «أنت تخافين بسهولة».

ـ ألا تريد معرفة السبب؟

رد ببرود: «أعرف السبب فهو في غاية الوضوح».

شعرت بالغضب فجأة فقالت:

ـ أتلمح إلى أنني أقوم.. بعرض شيء عليك؟

ـ نعم يا فتاتي العزيزة.

ـ أنت متوحش.. غارث!

ـ كما تشائين.. على أي حال يا صغيرة.. أنا أعتبر تصرفاتك جزءاً طبيعياً من مرحلة نموك.

قالت بغضب: لا تتلاعب بي غارث، فما أنا العزيزة الولهة ڤيكي.. ستتزوجها أليس كذلك؟

ـ أتسألينني أم تخبرينني بهذا؟

ـ أنزلني.

ـ بكل تأكيد.

أنزلها بدون لطف على العشب الندي ثم جلس قربها. سألته بحدة ووجهها المنحوت بدقة متورد ومتوهج:

ـ هل ستتبادل أطراف الحديث؟

ـ لا.. بل سأقوم بما هو مناسب.

نظرت إلى قدمها: «آه، غارث».

ـ خائفة يا طفلتي؟

ـ أجل.

ـ يجب أن نعرف ما إذا كنت باردة أم غير باردة.

عندما ألقت نظرة سريعة عليه شاهدت الضحكة والسخرية على وجهه فانفجرت بغضب:

ـ اللعنة عليك.. اللعنة عليك..

اختفت الكلمات على صدره.. لو عاشت إيف ألف سنة لما نسيت تلك اللحظة بالذات.. فقد اندفع جسدها بإرادة خاصة به لملاقاته إلى جانب روحها. خافت أن يغمى عليها قبل أن تعيش لتحس به.. يا الله.. كيف يختلف عناقه؟ شعرت بأنها لم تعانق قط أحداً.

ما إن وصلت بين يديه إلى نصف الجنون، حتى تركها. أبعدها عنه فوق العشب الندي وقال بقسوة: «باردة حقاً؟»

www.elromancia.com

ـ كنت مخطئة.

وكيف لها أن تقول غير هذا بعد تجاوبها المسعور؟

ـ التفسير بسيط.. كنت أعانق من هو غير مناسب.

ـ وكنت تحزنين قلوبهم.. مسكين جايسون العجوز.. ومسكين أنا.. شعرت جدتي بعذاب دائم وهي تتساءل عما يحدث لك وأنت بعيدة عن البيت.

صاحت: «أستطيع العناية بنفسي».

نظرت إلى وجهه المتعجرف الجميل.. كانت أهدابه كثيفة، وكأنها جناح غراب أسود حول عينيه الزرقاوين العميقتين.. لم ترَ قط مثل هذا اللون المثير للاضطراب، حدقت النظر إليه مذهولة أما هو فبدا وكأنه يقاوم رغبة قوية في معاقبتها.

قال محذراً: «لن أعتمد على قولك! في الواقع، بدأت أؤمن بقوة القدر.. لقد أرسلتني جدتي لإحضارك فكان أن وصلت في الوقت المناسب».

ـ هيا.. استمر في تذكيري بما حدث.

ـ سأذكرك به دائماً لأنني لا أستطيع نسيانه أبداً.. لم أشاهدك قط مرتدية ما هو أقل مما كنت ترتدينه.

ـ حسن جداً.. إذن لم يعجبك ما رأيت؟

ـ وجدته غير مقبول أبداً. في الواقع، يذهلني خروجك من التجربة بريئة ولكنك على أي حال أنت فتاة عجيبة.

دارت في رأسها صور رهيبة لها ولغارث. تصورت يديه حول قدها الرشيق، لكنها لا تستطيع السماح لنفسها بهذا التفكير لئلا تكتشف ما هو فظيع.

ـ باردة.. يا لها من سخرية!

قالت بصوت منخفض متوسل:

ـ لا تغضب مني غارث.. أكره نفسي حين تغضب مني.

ـ لكنك تفعلين ما بوسعك لإغضابي أم أن هذا أمر عابر؟

أحست بالحزن.. فما قاله صحيح.

ـ أعدك بألا أقلقك أو أقلق جايسون أو الجدة من الآن وصاعداً. لقد فهمت أخطاء طريقتي في الحياة.

ـ هذا واضح.. والآن ستنالين قليلاً من العبث معي.

ـ لا.. صدقني لا.. فأنا راهبة دير بالمقارنة معك.

انحنى فوقها ثانية: «يمكننا تغيير ذلك».

قالت رغم ارتجافها شوقاً: «لا، لا تفعل غارث».

إلى أين سيقودها هذا الجنون؟

ـ ظننتك ترغبين في الصراخ حتى يبح صوتك؟

شعرت بأنها ستسمع هذه القصة دائماً.

ـ أنت لن تسامحني أبداً.. أليس كذلك؟

التفّت أصابعه السمراء النحيلة على عنقها البيضاء العاجية:

ـ لا.. وليس هناك ما يمكنك فعله بهذا الصدد.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ درس في العواطف

آلمتها حقنة الكزاز كثيراً فقالت الجدة مواسية: «تشجعي يا صغيرتي».

والتفتت إيف إلى غارث متهمة: «أظنك مستمتعاً بألمي».

قال ساخراً: «حبيبتي.. ما كان لطبيب أن يقوم بعمل أفضل من هذا».

قالت الجدة: «لو رأيت يا عزيزتي كيف يموت الناس من التهاب جرح، لما اشتكيت من الحقنة».

سألت إيف العجوز: «وهل شاهدت أحداً جدتي؟»

ردت الجدة بتجهم: «أجل، إنها طريقة رهيبة للموت».

نظرت إيف إلى قدمها المضمدة: «ولكنه خدش بسيط».

رفع غارث لها ذقنها ينظر إلى عينيها: «أنت شاحبة».

نظرت الجدة إلى حفيدها الممشوق الوسيم:

ـ كوك تحضر الشاي.. ستبقى معنا.. أليس كذلك حبيبي؟

أجاب وهو ما يزال ينظر إلى وجه إيف المضطرب.

ـ عشر دقائق فقط.. ستشعرين بتحسن بعد لحظات.

نقلت الجدة بصرها من أحدهما إلى الآخر:

ـ سأقول لكوك إنك باقٍ، لا تقلق غارث.. سيعود إليها لونها بعد دقيقة.. فهي تخاف الحقن.

استند غارث إلى الخزانة: «هذا صحيح».

قالت إيف بعد خروج الجدة: «ثمة ما أريد مكالمتك عنه».

ـ ألا يمكن له أن ينتظر؟

هزت رأسها الحريري: «لا».

ـ حسناً، ما هو؟

ـ إنها أنيتا.. أتعرف أن المربية تسجنها في غرفتها؟

اختفت ابتسامة السخرية عن فمه ووجهه: «ماذا؟»

ـ تريد بذلك تعويدها على النظام.. تحدثت إلى كريستين بالأمر، لكنها لم تبد أقل اهتمام.

قست خطوط وجهه، حتى بدا وكأنه قناع منقوش:

ـ بالله عليك قولي ماذا بيدي أن أفعل؟ هل أتجاوز سلطة الوالدين؟

لوحت برأسها يمنة ويسرى:

ـ أظنك مضطراً إلى ذلك! لا يعجبني حبس أنيتا لأي سبب كان، وأنت تعرف إن ما تطلبه سينفذ حالاً. تحدث إلى كريستين

ـ عم؟

لم يسمعا تقدم كريستين إليهما حتى سألت.. فقالت إيف بسرعة:

ـ عن سجن المربية لأنيتا.

وعاد اللون الأحمر إلى بشرتها الشفافة.

تقدمت كريستين نحوها وحاجباها الأسودان مرفوعان:

ـ عمّ تتكلمين بحق الله؟

قالت بهدوء: «لقد ناقشنا الموضوع يا كريستين»

صححت كريستين لها بحدة:

ـ لم نتحدث إلا عن قيامك بإزعاج أفضل مربية حصلنا عليها حتى الآن! وعليك في المدة التي ستبقين فيها ألا نزعجي المربية، فيكفيها عبء أنيتا. ربما وسائلها صارمة ولكن لا مجال للتساهل مع أنيتا.

www.elromancia.com

سألها غارث بخشونة: «إذن هي محبوسة؟»

أدارت كريستين جسدها النحيل المتوتر لتواجه غارث:

ـ ليس لدي فكرة عن الأمر. أنا لا أسأل المربية يا غارث.. لقد أحرزت تقدماً رائعاً مع الطفلة.

صفعت عيناه الزرقاوان وجه كريستين التعس:

ـ وهل بدت لك فجأة فعالة؟

ـ أنا مقتنعة أن الآنسة بورتون تساعدها! إنها خبيرة في هذا الحقل.. هي ممرضة، وتعرف الأجوبة لمشاكل الأطفال المستعصية.

لم تستطع إيڤ البقاء صامتة:

ـ كلام هراء..! ما هي السعادة التي تدخلها إلى حياة أنيتا؟ لا يمكنك شفاء الطفل بحبسه.

ردت كريستين: «أظنك تختلقين أمر سجنها»

وضع غارث يده بحزم على كتف إيڤ:

ـ هل تعترضين يا كريستين إن كلمت المرأة هذه الليلة؟

ثبتت كريستين عينيها على وجهه الأسمر القاسي: «بالطبع لن أعترض.. وأنا أعرف أنها تود أن تكلمك».

نظر إلى إيڤ الصامتة: «هل تشعرين بأنك أفضل حالاً»

ردت عابسة: «أجل».

نظرت إليها كريستين بعداء واضح:

ـ يا الله! انظروا من يعرض يد المساعدة لأنيتا؟ ألست صاحبة الوقوع في المشاكل دائماً؟

قال غارث بحزم: «لو كنت مكانك كريستين لقبلت عرضها شاكرة».

عندما شاهدت كريستين تعبير وجهه، سارعت إلى القول:

ـ أنا متوترة قليلاً مؤخراً.. إن قصد إيڤ نبيل ولكن أنيتا طفلة

صعبة المراس.

وضع غارث يديه على خصر إيڤ النحيل، ورفعها لينزلها إلى الأرض.

ـ ليس لدي الوقت لأناقش هذا الآن.. ابقي قدمك مرتاحة هذا النهار.

قالت كريستين بصوت مشدود:

ـ يا لطريقتكم في معاملتها! تبدو صغيرة عاجزة.. ومع ذلك فهي منهورة إلى حد الجنون.

قال غارث بعذوبة:

ـ كما أنها هادئة أمام الطوارىء.. فلو تعرضت امرأة أخرى إلى الهجوم من حيوان مفترس لأصيبت بالجنون.. كنا نلاحق ذلك الدينغو منذ شهر.. أنا آسف لأن إيڤ واجهته وهو جريح وهذا ما ضاعف خطره.

بدت كريستين غير قادرة على إخفاء غيرتها.

ـ ما كان عليها الخروج.. أذكر أنك طلبت منها عدم اللحاق بك.

بعد رحيل غارث، التفتت كريستين إلى إيڤ بغضب حارق:

ـ لا تزرعي الخلاف بيني وبين غارث!

سألت الجدة بصوت مهذب: «وما قصدك يا عزيزتي؟»

هزت كريستين رأسها: «تعرف أنني أهتم برأي غارث بي».

ردت الجدة وهي تدير وجهها نحو الحديقة:

ـ هذا صحيح.. إيڤ منهورة قليلاً.. ولكن من الواضح أنها تريد مساعدتك

منعت كريستين نفسها من الرد بحدة: «وكيف لها ذلك؟»

ما من أحد مهما كان غاضباً يقدر على رفع صوته في وجه الجدة ماسترز.. إنها سيدة ذات سيطرة كبيرة ونفوذ أكبر. ازداد غضب

www.elromancia.com

كريستين لأن السيدة العجوز لم تتركها قط تقترب منها كما تقترب الشقراء الصغيرة اللؤلؤية البشرة ذات العينين الخضراوين النجلاوين.

قالت الجدة: «لماذا تمنعينها من مرافقة أنيتا؟ أتعرفين أن الصغيرة تسميها «الشمس المشرقة»؟

هزت كريستين رأسها سئمة: «ربما بسبب لون شعرها».

ـ بل لأنها تحبها.

ـ يا له من إطراء.. إن كان هذا يسعدك جدتي، فأنا أوافق على أن تقدم إيف المساعدة للمربية.

سألت إيف: «هل لي أن أرى أنيتا الآن؟»

ومضت عينا كريستين العسليتين:

ـ إن شئت ذلك. تبدين مصرة على تحقيق شيء ما، ولكن أنيتا ستهزمك.. أما بالنسبة لي، فأنا ذاهبة لأرسم.

علقت الجدة بعد لحظات من خروج كريستين:

ـ إنها ذكية بارعة، صحيح أنها غير متعلمة ولكنها تملك قدرات حقيقية.

ردت إيف: «أجل، أعرف ذلك. متى بدأت تتهرب من طفلتها؟»

نظرت الجدة إلى يديها: «منذ البداية».

* * *

تقدمت مرة أخرى الآنسة بورتون إلى باب غرفة الدرس فقالت إيف بصوت تعلمت السيطرة عليه في أرفع المدارس الداخلية:

ـ مساء الخير.

ردت المربية وقد صدمتها عودتها بسرعة:

ـ مساء الخير.

ـ فكرت في الاعتناء بأنيتا بعض الوقت.

ـ إنها نائمة.

ـ حسن جداً.. سأنتظر.

عبست المربية: «تنتظرين؟»

بدا لإيف أن الأدب والدبلوماسية غير نافعتين.. فبينها وبين الآنسة بورتون عداء طبيعي بحيث لا جدوى من محاولة الالتفاف على هذا العداء. حدقت إلى السيدة القاسية، ثم تجاوزتها.

ـ كنت أدرس في هذه الغرفة.

ـ عرفت أنك سيدة شابة رفيعة الثقافة.

ـ لست كذلك فكل ما نلته درجة بكالوريوس في الفنون والآداب.

لامست إيف بحب صندوقاً ممتلئاً بدمى جميلة تعود إلى العصر الفيكتوري.. قالت الآنسة بورتون:

ـ أليست رائعة؟ ولكن الطفلة لا تهتم بها أبداً.. ألم تحبيها وأنت طفلة.

ـ أعتقد أنه لم يسمح لأنيتا بلمسها أبداً.

بدت الدهشة على المربية:

ـ بالطبع لا..! فلن تقدر طفلة كأنيتا على الاعتناء بها.

ردت إيف بحزن:

ـ لا تتسرعي في الحكم عليها آنسة بورتون.. أنيتا محاطة بأشياء كثيرة ولكن القليل منها مسموح لها أن تلمسه. إن لمس الأشياء أمر مهم للأطفال.

ابتسمت المربية ابتسامة رفيعة:

ـ ربما.. ولكنك لن تقترحي أن تلعب بإحدى هذه الدمى الرائعة الجمال؟

ـ قد تشعر بالأسف عليها لأنها دمى محبوبة.

ابتعدت المربية وتقدمت إلى الباب المشترك في الغرفة الأخرى ونادت: «أنيتا».

www.elromancia.com

انضمت إيڤ إليها: «ألم تقولي إنها نائمة».

فتحت المربية الباب رداً على إيڤ فوجدت أنيتا فوق السرير الضخم مستلقية بلا حراك.. ولكنها مستيقظة.

قالت الآنسة بورتون: «أرأيت؟ لم ترد مع أنها تسمعك».

ـ أرجوك.. أود محادثتها على انفراد.

ردت المربية بحدة: «كما تشائين، ولكن أمها لن تسامحك إن سببت لنا متاعب أخرى.. لقد تمكنت من السيطرة على نوباتها العصبية».

ظلت أنيتا مستلقية خامدة وكأنها دمية مكسورة. لم تدر رأسها ولم تعط دليلاً على اهتمامها بوجود شخصين ناضجين معها في الغرفة..

بعد انسحاب المربية، تقدمت إيڤ إلى النافذة ونظرت إلى الخارج حيث المنظر الرائع، والمساحات اللامحدودة والحدائق الغناء. إن أنيتا رغم هذا المنظر الرائع حولها كانت تدفع قسرا إلى الخارج، فهي تخاف الجياد، وتخاف الماشية. لقد قرر والدها منذ زمن، أنها ليست كأفراد عائلة «ماسترز» أبداً..

قالت إيڤ بلطف، ونظرها إلى الخارج: «مرحباً أنيتا».

لا جواب.

ـ ليتنا نقضي بعض الوقت معاً.

ـ أنت تبتعدين عن المنزل دائماً..

كان الصوت الحزين قاسياً ومنخفضاً.

ـ ليس هذا ما أريده.. ولكنني مضطرة إلى القيام ببعض الأعمال.. لقد ماتت والدتي يا أنيتا.. ولا أستطيع العيش هنا.

ـ اذهبي!

لم تستطع إيڤ أن تعرف ما إذا كانت الفتاة تريد منها أن تذهب أو تريد أن تكرر جملتها السابقة في صياغة أخرى.. ولكن من خلال نبرة

صوتها المتألمة وجدت إيڤ أن الصغيرة تريد منها البقاء.

ـ اسمعي أنيتا.. أحب أن نترافق لمشاهدة الزهور البرية.. هذا إن أردت مرافقتي. إن الزهور البرية جميلة، وبإمكاننا أن نتجول بمفردنا.. وطبعاً يجب أن تساعديني.. لقد آذيت قدمي.

جلست أنيتا في السرير، تنظر إليها: «أتؤلمك؟»

هزت إيڤ رأسها، تخفضه قليلاً لتبتلع غصة في حلقها.. كانت أنيتا تكلمها بجهد كبير، وكأنما أصيبت أوتارها الصوتية بعطب:

ـ لا تؤلمني إلى حد أن تمنعني من الخروج.. إنها قدمي اليسرى، وأستطيع قيادة الجيب.

لقد طلب منها غارث البقاء في المنزل، ولكنها تأمل أن تؤثر حدائق الصحراء في الصغيرة:

ـ أترغبين في رؤيتها؟

تسللت أنيتا من السرير: «أجل».

كانت أصغر من سنها ولكنها مكتنزة أما وجهها فلم يكن جميلاً.

ـ وماذا ستفعل.. بها؟ (سألت الصغيرة)

ـ أخائفة منها؟

صمتت أنيتا.. فمدت إيڤ لها يدها:

ـ قالت الجدة إن بإمكانك الخروج.

تحركت أنيتا بسرعة وأمسكت بيد إيڤ التي فوجئت بحركتها.

ـ أوه.. ثمة مشكلة. نحن بحاجة إلى أحذية!

تطلعت الفتاة إليها: «هذا صحيح».

ـ أين هي الأحذية.. في الخزانة؟

ـ هذا صحيح

ـ إذن.. سنجدها.

تقدمتا إلى الخزانة الكبيرة ذات الخشب الأرزي الأحمر، فجأة

www.elromancia.com

صدم إيف واقع أن الغرفة كبيرة على طفلة. فالأثاث كله مصنوع من خشب الماهوغوني الصلب، والغرفة تتسع لذرية من الأطفال الصغار وهي تفتقر إلى الألوان الزاهية المبهجة.. إنها غرفة معقدة رسمية وكبيرة جداً على طفلة.

شدتها أنيتا من يدها تستغرب استغراقها في التفكير:

ـ إيف..؟

تنبهت إيف من أفكارها ففتحت الخزانة الضخمة ونظرت إلى داخلها.. في الخزانة أغراض كثيرة.. بحيث أن أنيتا لن تجد الوقت اللازم لترتيبها جميعاً. بل إن بعض الملابس تناسب إيف لا طفلة صغيرة بريئة.

أخذت حذاء أصفر اللون:

ـ ما رأيك بهذا؟

ـ أصفر..

وجلست على الأرض لتساعدها على انتعاله. وضعت إيف الحذاء الأيمن في يد الفتاة:

ـ انتعليه بنفسك.

شع وجه أنيتا بالفرح المطلق.. ولم تجد صعوبة في انتعال الحذاء، فأبدت إيف إعجابها:

ـ فتاة رائعة! فلنذهب الآن!

جرت مواجهة أخرى في الغرفة الثانية حين قررت إيف أخذ دمية صغيرة معها.. تراجعت أنيتا وأظهرت الخوف ولكن إيف دنت من الصندوق وفتحته.

ـ اختاري واحدة.

عبرت المربية عن استيائها: «حقاً آنسة ماسترز!»

فاجأت أنيتا المرأتين باختيار لعبة جميلة كانت إيف في طفولتها

تحبها كثيراً.

ـ هذه.

ابتسمت لها إيف: «أنت على حق. لوسي كانت لعبتي المفضلة».

قالت المربية: «أرى يا آنسة أنك تخلقين المزيد من المشاكل.. لدى أنيتا ميل طبيعي إلى التدمير.

قالت إيف: «أتمنى ألا تفهم معنى هذه الكلمة».

ولكن تعبير وجه أنيتا، دل على أنها فهمتها ففكرت إيف.. متخلفة؟ بل هي سريعة الاستيعاب.

قالت الصغيرة: «أكرهك».

ابتسمت المربية:

ـ أنا واثقة من هذا.. ولكننا سرعان ما سنصبح صديقتين.

ـ لا.. لا.. لا!

وعندما قالت الـ «لا» الأخير كانت تصرخ.. فسارعت المربية تنظر بانتصار إلى إيف:

ـ ها قد بدأت من جديد..

أمسكت إيف يد الفتاة بحزم:

ـ سنخرج الآن.. أترغبين في أن تحملي اللعبة لوسي.

قالت الآنسة بورتون وهي تشعر بأن إيف ترتكب غلطة جسيمة: «إن هذا العمل لغبي».

ما ان تركت إيف يد الصغيرة، حتى رفعت لها ذراعيها: «أرجوك».

ـ أرى أن لوسي ترغب في مرافقتنا.. المكان خانق في الصندوق.. سنخرجها جميعاً، واحدة واحدة.

حضنت أنيتا اللعبة الجميلة إلى صدرها بقوة تتجنب متعمدة النظر إلى المربية.

www.elromancia.com

كانت النزهة ناجحة جلس خلالها الثلاثة، إيف وأنيتا ولوسي بهدوء بين الزهور البرية. كانت أنيتا غارقة في صنع سلاسل من زهور المرغريتا البرية البيضاء لتزين «لوسي» أولاً، وإيف ثانياً ونفسها أخيراً، رأت إيف أن الصغيرة تُظهر براعة بدوية ممتازة، وهي إلى ذلك تختار الألوان بأسلوب مميز.

لم تشعر أنيتا بالمتاعب إلا عندما قررت إيف العودة.

قالت أنيتا وهي تكاد تجهش بالبكاء:

ـ لا.. لا أريد الذهاب!

صعب عليها وهي تراقب الطفلة ألا تشدها إلى حضنها، ولكنها قررت أن تهدىء روعها بالتدريج.

ـ لا تنسي أن «لوسي» يجب أن تعود إلى البيت. وغداً يأتي دور «وليتا».

يبدو أن جملتها هذه أثارت اهتمامها.. فقد عدلت الصغيرة عن البكاء وقالت للدمية: «آسفة لوسي».

أحست إيف أنها على وشك البكاء بسبب محبة الطفلة للدمية..

قالت: «لا شك في أنها استمتعت كثيراً».

شرحت أنيتا لها: «لأنني أحبها».

في طريق العودة لاذت الصغيرة إلى الصمت ولكن وجهها بدا هادئاً وكأن نفسها مفعمة بأمل قريب.

كانت كريستين بانتظارهما وعندما نظرت إيف إليها وجدتها عابسة.

قالت بحدة: «تأخرت أنيتا عن موعد الشاي».

فكرت إيف في الرد: اذهبي واقفزي إلى داخل الشاي! تحركت أنيتا فوراً لتمسك يد إيف، وما إن فعلت حتى انسلت الدمية من بين ذراعيها. فسارعت كريستين لالتقاط الدمية:

ـ آه.. يا إلهي.. أيتها الفتاة الغبية!

وسرعان ما انتحبت أنيتا بصوت يقطع القلوب وهذا ما دفع بالجدة إلى الخروج، ثم لحق بها غارث..

صاحت كريستين بصوت أعلى من الضجيج: «من أعطاها الدمية؟»

ظهرت المربية بورتون من مكان مجهول:

ـ الآنسة ماسترز..

صرخت كريستين: «ولماذا؟ كادت تحطمها».

قاطعتها الجدة: «كريستين، أرجوك».

قالت إيف: سأصحب أنيتا إلى غرفتها.. لقد اعتنت بالدمية طوال الظهيرة والعصر أما ما حدث الآن فمجرد صدفة.

سارعت المربية لإعطاء الحادثة اسماً جديداً:

ـ إنها مشكلة سلوكية.

صاحت كريستين: «اللعنة على كل شيء! إنها تحطم الأشياء!»

حمل غارث الطفلة الباكية ووضعها على كتفه:

ـ تعالي يا طفلتي!

توقفت أنيتا فوراً عن البكاء وقالت مذهولة:

ـ أوه!

قالت الجدة: «احملها إلى فوق غارث وسترافقك إيف».

سألت كريستين الجدة متوسلة مشيرة إلى إيف:

ـ ماذا تحاول أن تفعل؟ لقد وظفت الآنسة بورتون للعناية بالطفلة.. وها هي إيف تعقد الموقف. ما الخبرة التي تملكها في عالم الصغار؟ أنيتا تحبها نعم ولكن حبها هذا لن يساعدها كثيراً.

لحقت إيف بالرجل والفتاة التي كانت تلف يدبها حول عنق غارث.. ولم تكن متمسكة خوفاً على نفسها، بل كانت مستريحة. ما

إن وصلوا إلى غرفتها حتى التفتت إلى إيف مبتسمة.

يا الله! أي أمل لهذه الطفلة؟ وبدا لإيف أن مزاج كريستين السوداوي هو المسؤول الأول عن مشاكل ابنتها الصغيرة..

وضع غارث الصغيرة في سريرها، وسألها:

ـ هل استمتعت اليوم؟

ـ هل ستسمح لي بأخذ لوليتا معي في الغد؟

ـ ومن هي لوليتا؟

ـ إنها دمية أخرى.

ـ آه.. فهمت!

ـ هل أستطيع.. أرجوك.. غارث؟

ـ أجل.. لكن عليك الاعتناء بها.

استرخى الوجه الصغير المتوتر: «أعرف أن العناية بها واجب».

ـ اتفقنا إذن.

وقف قرب الصغيرة ينظر إليها ثم سألها مجدداً:

ـ أتريدين أمك الآن؟

تغيرت ملامحها وظهر التوتر عليها مجدداً: «لا».

ـ هل أنت سعيدة مع الآنسة بورتون، أنيتا؟

ـ أكرهها.

استدار غارث ينظر إلى إيف: «ماذا سنفعل الآن؟»

جلست أنيتا في السرير الكبير تنظر إليهما.. قالت إيف معبرة عما تفكر فيه بحماس:

ـ قبل أي شيء.. إن نظرت إلى ما حولك رأيت أن هذه الغرفة ضخمة: ض. خ. م. ة.

قالت أنيتا: «لا أحبها إنها كبيرة. ك. ب. ي. ر. ة»

سألها غارث: «وكيف تهجئين ضخمة؟»

نظرت إلى أصابع يدها النحيلة تحركها مع الحروف:

ـ ض. خ. م. ة.

ـ هذا صحيح.. أترغبين في غرفة أخرى؟

وقفت إيف قرب غارث:

ـ غرفة تختارينها بنفسك؟

اتخذ وجه أنيتا المتلبد، شخصية محددة..

ـ آه، أجل! أريدها قرب غرفة إيف.

هز غارث رأسه: «حسن جداً.. وبإمكانك انتقاء الأثاث أيضاً».

نظرت أنيتا إليه متسعة العينين: «على ألا يكون لها أقفال».

ـ على ألا يكون لها أقفال.

اغرورقت عينا الطفلة بالدموع: «لا مفاتيح؟»

مد غارث يده يملس شعرها القصير.

ـ لك ما تريدينه.. هذا بيتك أنيتا.

ردت، وكأنها راشدة:

ـ بل هو بيتك.

ـ إذن سأعطيك ما تريدينه يا ابنة عمي الصغيرة.

وثبت أنيتا الصغيرة، المضطربة عاطفياً ورمت بنفسها على غارث منتحبة وجلس غارث على السرير يضم الصغيرة بين ذراعيه.. يقول بلطف:

ـ ابكي ما شاء لك ذلك يا طفلتي.. ابكي، ودعي ما في داخلك يخرج..

قالت إيف، والدموع تتساقط من عينيها الخضراوين:

ـ كنت معي دوماً هكذا.. أحبك غارث.

وجلست على السرير تسند رأسها الأشقر على كتفه أما الصغيرة فدفنت نفسها بين ذراعيه، كان منظراً غريباً ورائعاً سرعان ما تبدد.. إذ

www.elromancia.com

صاحت كريستين من خلفهما:

ـ ماذا يجري؟

انتفضت إيف وعادت إلى الواقع رافعة رأسها، ناظرة إلى الخلف إلى وجه كريستين الغاضب التي كانت تقف وملء عينيها الغضب والشك.

سرعان ما فرض غارث سيطرته، فأتى صوته هادئاً ولكن متسلطاً:

ـ مهلاً كريستين.

دخلت الجدة وهي تعي كالعادة، ما يجري:

ـ كيف حالها الآن؟

تابع غارث حضن الصغيرة، مع أن دموعها توقفت:

ـ بخير.. اكتشفنا أنها لا تحب غرفتها، ولا تحب الآنسة بورتون.

قالت كريستين بغضب:

ـ إنها الشخص الوحيد الذي نجح في السيطرة عليها.

ـ الآنسة بورتون لم تساعدها قط.

دفعت لهجة التوبيخ في صوته كريستين للارتداد على عقبيها والهرب من الغرفة. نظرت الجدة إليها بحزن:

ـ يا إلهي! يا إلهي!

ـ فلتذهب يا جدتي.. فأنا الآن أشدَّ اهتماماً بأنيتا.. تبين لي الليلة أن الطفلة غير متخلفة أبداً وأن بعض الحب والتفهم سيشفيانها.

نظرت الجدة إليه: «أعرف هذا، ولكن على الحب والتفهم أن يكون مصدرهما الو. ا. ل. د. ي. ن!».

ابتسم غارث:

ـ يجب أن تعرفي يا جدتي أن أنيتا تعرف التهجئة.

ابتعدت أنيتا عن غارث وهزت رأسها:

ـ أجل.. ولكن لم يعلمني أحد شيئاً!

بعد العشاء، انتظرت إيف غارث الذي كان يتحدث إلى الآنسة بورتون في المكتبة.. كانت ساعة عشاء متوترة ولم يقل فيها أحد كلمة.. لم تأكل كريستين شيئاً، وأبقى العم دايفد نظره مركزاً على صحنه، أو على صور أسلافه. من الواضح أن جدالاً ما وقع في غرفتهما قبل العشاء.. وتساءلت إيف مرة أخرى لماذا تصور العم يوماً أن زواجه سينجح.. إنهما كالماء والزيت.. نقطة اللقاء الوحيدة بينهما هي الإحباط بسبب ابنتهما الوحيدة.. وأحست إيف أن هذا هو السبب الجذري لمشاكل أنيتا.. فكيف لأي طفل أن يقبل الرفض من والديه؟ وهل السبب أنها غير جميلة؟.. لكن أمامها عمر مديد بعد. في كثير من الأحيان تنقلب قباحة الصغار إلى جمال في الشباب. إن الفتاة ذكية وهي تخبىء كل شيء في نفسها، وما نوبات الصراخ والبكاء والتصرف المزعج إلا توسلات يائسة للاهتمام بها.

لم تأكل إيف كثيراً.. وها هي الآن تنتظر خارج باب المكتبة تحس بالغثيان والارتجاف، فقد طلب غارث وجودها.. ولا أحد في الوايت هاند يعصي أوامره.

ما هي إلا لحظات حتى فتح غارث الباب، ثم تراجع لتمر الآنسة بورتون التي هرعت إلى الخارج رافعة الرأس وعلى وجنتيها لون غير متساوٍ وفي عينيها نظرة عداء رهيبة موجهة إلى إيف. ولم يتكلم أحد.. فماذا هناك ليقال؟

ما إن أقفلت باب المكتبة وراءها حتى قالت إيف:

ـ إنها غاضبة مني! هل طردتها؟

ـ ما كان يجب أن توظف أصلاً.. ربما هي قادرة على العناية ببعض الأطفال، وإن كنت أشك في ذلك، ولكنها غير قادرة أبداً على رعاية أنيتا.

ـ متى تغادر؟

قال غارث متوتراً: «سأرسلها بالطائرة غداً.. أكره أن أفعل شيئاً ما يتوجب على غيري فعله».

قالت بحزن: «لن يقول العم دايفد شيئاً، يبدو أن شجاراً ما وقع بينهما».

مدد ذراعيه متعباً: «الأزواج عادة يتشاجرون، أنا ممن لا يعجبني الزواج أبداً».

ضحكت: «هذا يفسر الأمور.. لكن ماذا عن وريث للوايت هاند؟»

التفت عيناها الخضراوان بعيني غارث.

ـ يجب أن يكون في الزواج أكثر من رغبة في إنجاب وريث.

ـ وما هو الذي تنتظره آملاً؟

التوى فمه بسخرية ذاتية:

ـ لم أعد واثقاً.. لا يمكنني مقاومة الجاذبية الجسدية.

رفعت إيف حاجبيها الرقيقين:

ـ غارث! وهل تجد ڤيكي مرغوبة؟

ـ ڤيكي تموت بي حباً.

ـ أيها المتوحش المغرور.

ـ تعالي إلى هنا.

ـ بكل تأكيد.

تقدمت إلى حيث أشار وجلست على كرسي كبير في مواجهته بحيث انصب النور كله على شعرها ووجهها، وعلى فستانها الرقيق الوردي النحاسي الذي ترتديه..

قال غارث بلهجة مثبطة:

ـ تبدين جميلة بشكل مفرط.

نظرت إلى نفسها تعتذر بسرعة: «تحب الجدة الملابس الأنيقة

وقت العشاء».

ـ بملابس أنيقة وبدون ملابس، فما الفرق؟

تنهدت تنهيدة عميقة: «لا تبدأ من جديد».

ضحك ضحكة قصيرة، فيها شيء من العنف:

ـ سأختار بنفسي خطيبك القادم.

ـ أظنك ستختاره صالحاً.

بدأت الإثارة تتفاقم في أعماقها وبدأت تظهر في اشتداد عتمة عينيها، وفي تورد وجهها العاجي.

ـ ألم أعن لك دائماً؟

تحدتها نظرته أن تنكر. نظرت إلى الأسفل ولوت يديها تشبكهماعلى ركبتيها:

ـ بالطبع اعتنيت بي.. وأنا آسفة لأنني لن أستطيع رد الجميل.. أعني.. لم أعرف بأمر راكيل.. وإلا لما اشتريت البورش..

قاطعها بجرأة: «ثمة وسيلة لرد الجميل..»

ـ كيف؟

ـ ألا تعني لك مصلحة أنيتا الكثير؟

وقفت تنظر إليه: «طبعاً».

رفع رأسه يسنده إلى ظهر كرسيه يراقبها بعينيه:

ـ هل تشعرين أنك تفهمينها؟

ـ قليلاً.. فلدي طريقة معينة مع الأولاد.

ـ والرجال.. وهذا ما نحن بغنى عنه.

سرت قشعريرة في بشرتها.. بدا مسترخياً، ولكنها شعرت بأن استرخاءه هذا مجرد قناع لتوتره.. دنت منه:

ـ وماذا تريد مني أن أفعل؟

ـ ابقي هنا مع أنيتا.

www.elromancia.com

ـ حتام؟

ـ قدر ما يلزم.. ستة أشهر.. سنة.. أو حتى نرى بوضوح أنها تهدأ وتتجاوب.. لقد قمت بمعجزة اليوم.

ـ أنت من قمت بها غارث.

ـ تبدين قلقة.

ـ ولمَ لا أقلق..؟ فأنت تعرف أنني غير قادرة.

ـ لماذا؟ ليس في الأمر إثارة أو حفلات حتى الثالثة صباحاً؟

صاحت: «أريد مساعدة أنيتا ولكنك تحيرني».

ـ ظننتك راغبة في إظهار امتنانك.. وما هي بضعة أشهر من عمر فراشة؟

ردت بألم: «حسناً، أعترف أنني لم أقم بما له قيمة! إنما أنيتا ليست ابنتي.. وأظن أن كريستين ستعترض إن توليت رعايتها».

ـ اتركي أمر كريستين لي.

ـ يا للعنة!

ويا لها من كلمة! مد يده فجأة يمسك معصمها:

ـ ماذا تعنين بكلمتك هذه؟

نظرت إليه مسمرة بشكل غريب: «الله أعلم».

طالما كان لغارث هذا السحر عليها.. وهي تعرف سببه الآن..

قال محذراً: «إياك أن تحاولي بناء شيء من لا شيء».

ـ وماذا قلت؟

ـ المهم هو ما لم تقوليه طفلتي.

ـ إذن لماذا أنت غاضب؟ هل أنت قلق على شيء ما؟

وقف فجأة وقال آمراً بازدراء بارد:

ـ لا تقولي المزيد.. ولا تحاولي تجنب الموضوع.. أتريدين مساعدة أنيتا نعم أم لا؟ إما أنت أو مربية أخرى!

نظرت إليه مصدومة:

ـ يجب أن أنطلق في حياتي غارث فأنا بحاجة إلى عمل.

ـ وأنا أعرض عليك عملاً..

ردت غاضبة: «حقاً؟ ولماذا؟ أظنك تريد استبقائي هنا في الوايت هاند».

لم يزعج نفسه بالإنكار:

ـ وهذا أيضاً.. فعندما تكونين بعيدة عن ناظري توقعين نفسك في مشاكل جمة.

ـ هوك هو من تصرف بشكل متطرف لا أنا.

قال بازدراء: «وماذا عن التالي؟ أعرف أنني قادر على معانقتك بحرارة تقطع الأنفاس».

ردت بغضب وإذلال، لأنه محق: «أو لم يعجبك ذلك؟»

ـ حسناً جداً.. إن رغبت في قليل من الإثارة، فأنا مستعد لتوفيرها لك.. مستعد أنا للقيام بأي شيء حتى أبقيك في الطريق المستقيم

ـ بالله عليك!

ـ سيكون وضعاً رائعاً.. أنت تعلمين أنيتا، وأنا أعلمك

ـ لا..! شكراً لك!

ارتدت على عقبيها تحاول الانصراف ولكنه لفّ ذراعه حول خصرها.

ـ ماذا تقصدين بهذه الـ «لا» أيتها المنافقة؟

ـ تلقيت منك دروساً كافية!

أرجعها إلى الوراء لتلتصق به، ولف ذراعيه حولها.

ـ الحياة دروس كلها.

وجدت صعوبة في مجرد التنفس، فقد عبقت رائحته في خياشيمها وبعثت ذراعاه إليها النشوة.

www.elromancia.com

قالت بمرارة: «إن أردت إثبات شيء ما فتفضل».

ـ صغيرتي إيف.

تدفقت الدموع من عينيها بسبب سخريته فأحنى رأسه:

ـ أريد أن آكلك.. لا بأس في هذا؟

حاولت تحرير رأسها ولكنه تراجع ليستند على كتفه.. كانت تستجيب له رغم الأوامر التي يصدرها عقلها، وأحست بضجيج في رأسها، فأغمضت عينيها، فيما الألم والنشوة يختلطان في أعماقها. إنه يسيطر عليها كل السيطرة.

عجزت كل العجز عن السيطرة على النار المتأججة في أعماقها. فهمست: «لا تفعل هذا غارث».

ـ تعرفين أنك تريدينني.

حاولت أن تصيح «لا أعرف شيئاً!» لكنه لم يسمعها.. فقد كان مشغولاً في فرض سيادته عليها.

وصاحت شاهقة آخر أنفاس لها: «توقف! لا تعذبني!»

تركها لينظر إلى عينيها:

ـ لو توقفت عن سوء الظن لوجدت أنني لا أقوم إلا بمعانقتك.

ولكن الجوع الذي أثاره فيها كان لجوجاً وضاحاً، إلى درجة الألم:

ـ هذا كثير!

ما زال يمسك بها وما تزال عيناه تراقبانها عن كثب.. تراقبان.. تراقبان. فماذا يأمل أن يرى؟

ـ أرجوك غارث.. قد يدخل أحدهم في أية لحظة.

ـ عليه أن يدق الباب أولاً.. أتريدين مني حقا التوقف؟

ـ لقد عاقبتني بما فيه الكفاية.. النساء يتعمن في حبك منذ سنوات ولكنك لا تكترث بهن

ابتسم غير معتذر:

ـ قصاصي قادم! على أي حال.. واسي نفسك بهذه الفكرة.. لقد أظهرت لك أنك لست باردة.. وأنا في الواقع لم أصدق قط أنك باردة.

أعادت إهاناته القوة إلى ساقيها: «دعني أنهض!»

ـ ستنهضين، ما ان تقولي إنك باقية.

ـ ستعارض كربستين الأمر.

مرر إصبعه على وجنتيها، فارتجفت شفتاها:

ـ أنا قادر على تولي أمرها.

فكرت إيف: أوليس هذا ما تريده؟ وأردف يقول:

ـ إن العطر الذي تضعين منه مغر.. ما هو؟

ـ أنا!

ولكن الوقت لم يتسنَ لها لتضع عطرها المفضل. وضحك ملء فيه:

ـ فليساعد الله الرجل الذي سيتزوجك! سوف تستنفذين قواه كلها.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ حضن الليل

ظل مزاج كريستين أسبوعاً أو أكثر كريهاً وقد تحملت إيف لذعاته بصمت. . ولكن، لم يكن هناك من يشهد على تهجماتها الوحشية الغيورة، فليست كريستين بغبية لتخاطر بأن تدينها العائلة. . واستمرت الانتقادات المريرة سراً. . أحياناً بوجود أنيتا وأحياناً عندما يكونان على انفراد.

وهما الآن على انفراد في غرفة أنيتا الجديدة أبدت كريستين مجدداً استياءها وقالت ساخرة: «هل تعتقدين أنني قد أسمح لها بالرسم؟»

ـ قد تدهشك، فهي مرتبة.

غطت عينيها وكأن منظر الجدران الصفراء يصيبها بالغثيان.

ـ يا الله! . . ما هذه الألوان!

ـ لقد اختارتها بنفسها.

ـ وتركتها تختارها! وماذا عني؟ ألا علاقة لي؟

ـ أهلاً بك للمساعدة.

ـ أمر مضحك!

بدت كريستين يائسة تريد الصياح والصراخ على أحد، ولأول مرة استطاعت إيف رؤية التشابه بين الأم وابنتها. قالت بهدوء ولطف:

ـ أرجوك صدقيني. . أنا أحاول تقديم المساعدة فقط.

ـ نعم أنت تساعدين إنما نفسك فقط. . تجعلين من وجودك

ضرورة لا غنى عنها. ومن يعلم. . ربما في نيتك القيام بلعبة على غارث.

ردت إيف بخفة: «لن يكون لي فرصة لهذا».

ـ لا. . لن يكون لك فرصة. . شقراء صغيرة حمقاء لا يمكنها إسعاد غارث.

ـ وهل أنت قادرة على إسعاده؟

انتفضت كريستين وكأنها تلقت صفعة: «أيتها الساقطة».

ـ لا لست بلهاء، أعرف أن النساء يقعن بسهولة في هوى غارث. لا ألومك على هذا. . بل الواقع أنني أتفهمك وأتأسف على وضعك ولكنك اخترت ما قد يكون زواجاً موفقاً إن أردت ذلك. العم دايفد رجل رائع.

ـ أكرهه!

ـ تزوجته لأجل ماله؟

ـ اعتقدت أن ماله سيعطيني ما أريد. . فقد كان والداي خادمين عجوزين فقيرين.

ـ أما زالا على قيد الحياة؟

ـ لم أسمح للعائلة بمقابلتهما. . فقلت لدايفد إنهما متوفيان.

ـ آه!

ـ أهذا عمل شنيع؟ لو شاهدت أمي لما تصورتها تتناول الشاي مع الجدة.

ـ ولماذا؟

ـ لا تكوني سخيفة. . الجدة قادرة على معرفة الزيف في أي إنسان.

ـ هذا إن طلب إليها ذلك.

ـ أمي كيس ثقيل عجوز. . كرهتها في طفولتي. كانت رثة

www.elromancia.com

الملابس، فيما الأمهات الآخريات رائعات المظهر أنيقات الثياب..
أما جمالي فقد ورثته عن أبي.. والله وحده يعرف ماذا رأى في أمي.
- لا شك في أنه يرى فيها شيئاً.. وإلا لما دام زواجهما.
تأملت كريستين البساط تحت قدميها:
- من يدري ما الذي يديم العلاقات بين الناس! لهذا السبب تثير أنيتا حفيظتي.. إنها تشبه أمي كثيراً.
- لكنها تشبهك أيضاً..
وقفت كريستين: «مستحيل.. على فكرة.. هل سمعت الخبر؟ العزيزة فيكي آتية مع عالم النبات».
- ستان بارنبي؟
هزت كريستين رأسها:
- إنها تحس بالراحة مع الرجال: تركب الخيل، تطلق النار وتقود الطائرات وتطلق العنان لجوادها في أدغال الشوك.. هي الآن بدون شك يائسة لأنها رغم ما تقوم به في رمي نفسها على غارث عاجزة عن دفعه إلى طلب يدها.
- ربما تتمكن من هذا في هذه الرحلة.
قالت وكأنها تشهق بالبكاء: «لو كنت حرة لما تمكنت».
وخرجت من الغرفة.
في الصباح التالي حطت فيكتوريا بطائرة والدها مع عالم النبات المشهور. كانت ماهرة في الطيران وفي كل شيء، ولكن غارث وحده من يحولها إلى ضعيفة. عندما رأتهما معاً رق لها قلب إيف الرقيق. فمشاعر فيكتوريا ظاهرة، واضحة بشكل يثير الشفقة: وجهها متورد، فمها المكتنز مرتعش وعيناها لامعتان بتصورات داخلية، ترى فيها نفسها مع غارث.. ستدهش عظيم الدهشة لو فشل كل شيء لأن غارث لا يحتاج إلى امرأة، على الأقل ليس بهذه الطريقة، فهو مكتف ذاتياً

وسينتهي المطاف بفيكتوريا بأن ينحطم قلبها.. فمن ستخلف الجدة ستكون امرأة مختلفة كل الاختلاف عن فيكي.
همس ستان بارنبي في أذن إيف.
- ما الذي يشغل تفكيرك إلى هذا الحد؟
كان رجلاً طويلاً غير معقد، في أواخر الأربعين. بدت عيناه الزرقاوان شاخصتين إلى غارث وفيكي.
سألها ستان: «هل سيتفقان في النهاية على الزواج؟»
- لا أدري.. كيف كانت الرحلة؟
- رائعة.. ما أكفأها من امرأة! إنها جميلة وقديرة ولكنني أشعر بأن غارث منيع أمام سحرها.
تابعت إيف سيرها.. فيكتوريا لم تهتم حتى الآن بوجودها. وهذا ما يقلقها كثيراً. ففيكي تلعب الآن دور العروس العتيدة التي ينوي غارث الارتباط بها..
بدت فيكتوريا وقت العشاء جميلة خلابة. وبدت كريستين حطيرة جداً. أما ستان فبدا مهتماً بالجميع، إنها زيارته الرابعة أو الخامسة إلى المزرعة.. ويا لها من مكان رائع! بدا الجو في المنزل هادئاً مسالماً فالسيدة ماسترز العجوز منتصبة بشكل رائع، والصغيرات إلا إيف، كن فاتنات بشكل مؤثر.. وبعد مراقبتها وجد ستان أنها أقرب إنسان من بين البشر إلى الزهرة، فهي فاتنة في براءتها. كان يكن لغارث الاحترام والإعجاب.. فأرباب الماشية يفيضون قوة وسلطة ولكنهم ليسوا جميعاً بارعين ومثقفين أو كرماء بمالهم ووقتهم.
اقترحت فيكتوريا أن يلقوا نظرة على احتفال تقليدي راقص يقيمه عمال المزرعة قرب البحيرة. السكان الأصليون راقصون ماهرون.
سرت الكلمة كالنار في الهشيم بأن الرئيس وضيوفه سيكونون من المتفرجين، وحالما وصلوا إلى البحيرة حتى تعالى هتاف الترحيب.

www.elromancia.com

نظر ستان إلى جمال الموقع الغريب: «آه! يا للروعة!»

ابتسمت إيف له: «إنه يضاعف نبضات قلبك».

ـ بالفعل.

دنا رجل مهيب من غارث فمال ستان برأسه إلى الصغيرة إيف وقال لها:

ـ إنه رجل مذهل.

سمت إيف الرجل: «إيزاي العجوز».

ـ لا.. بل غارث.. إنه رجل غير عادي.

ـ لا..

بدا غارث تحت ضوء النار مؤهلاً ليكون ملكاً على هؤلاء الناس.. والسبب الهالة التي تحيط به والقوة والسمو.. أمن الغريب أن تقع كريستين بجنون في حب من له هذه الصفات؟ راحت إيف من فوق ألسنة اللهب البرتقالية الذهبية تمعن النظر بالمرأتين اللتين تحومان حول غارث الطويل القامة كخادمتين مطيعتين: ڤيكتوريا المرتدية فستاناً واسعاً من «الجيرسي» الأبيض سعيدة وكريستين المرتدية ثوباً أحمر بائسة.

ربت ستان على ذراعها فانتفضت:

ـ هل ضايقتك ونحن في السيارة؟

ـ لا أبداً.. أظننا سنستمتع الليلة، هذا هو إيزاك، الراقص الرئيسي، يرتدي ثياباً خيالية..

كان غارث يضحك على ما قالته ڤيكتوريا وهو يفرش بساطاً جاء به لحماية ثياب النساء الرقيقة. بعدما وضع البساط لكريستين وڤيكي دنا من إيف الواقفة مع ستان، وقال بلهجة آمرة: «هذا البساط لك يا وجه الزهرة».

وأعطاها بساطاً صوفياً ملوناً، فسألته: «هنا؟»

ـ بل أبعد به قليلاً.

ونظر إليها نظرة حادة، أيظن أنها تخطط لشيء ما مع ستان؟ لكن لا.. صحيح أن ستان أعزب إلا أنه ينتمي إلى جيل آخر.

أخيراً جلس الجميع، وبدأ الاستعراض.

همست إيف لستان:

ـ أليست رائحة الخشب المحترق لذيذة؟

التفتت ڤيكتوريا لتنظر إلى إيف نظرة تأنيب متعمدة، ولامس ستان ذراعها مبتسماً:

ـ لا كلام من مقاعد المتفرجين.

تجمع المغنين من الرجال والنساء قرب الراقصين وباشرت النسوة الغناء بصوت درامي حزين وخرج راقص من بين الأشجار وقبع وسط الحلبة..

قال ستان الذي لا يستطيع السكوت كإيف:

ـ يا إلهي.. أليس رائعاً!

ولأنه ضيف نجا من نظرات ڤيكتوريا المؤنبة.

التصقت إيف بستان ليتمكنا من متابعة الحديث همساً:

ـ لقد شاهدت هذا الراقص يرقص رقصات رائعة.

ـ إنه بارع. من ألّف هذه الرقصة؟

التفتت ڤيكتوريا لتلقي على إيف نظرة مهلكة:

ـ إيف.. أرجوك!

قال ستان من بين أسنانه:

ـ يا لها من مزعجة شريرة!

قال غارث: «تعالي إلى هنا لأستطيع مراقبتك».

أظهرت تعابير وجه ڤيكتوريا أن هذا الترتيب لم يعجبها، فعمدت إيف إلى مضاعفة إزعاجها.. فمن تظن نفسها على أي حال؟ يا لها من

متكجرفة! إن أسوأ ما في بعض الوريثات طريقتهن عندما يصممن على فرض النظام على الناس.

قالت إيڤ لستان: «سأكون أشرَّ منها وألأم».

وقفت برشاقة.. إن قررت ڤيكتوريا معاملتها وكأنها فتاة صغيرة فستتصرف وكأنها كذلك فعلاً مختارة الجلوس في حضن غارث.

وجلست إيڤ في حضن غارث فغضبت ڤيكي وكريستين غضباً مسعوراً.. مالت إيڤ في البداية إلى غارث جانبياً ثم لم يلبث غارث أن لف ذراعه حولها، وشدها لتستند إلى كتفه.. فتنهدت: «عظيم».

كادت كريستين تهاجمها بأظافرها أما ڤيكتوريا فنسيت الرقص وراحت تراقبهما.. وهذا مؤسف حقاً، إذ كان الجميع مندمجين مع الأداء الذي بلغ أوجه.

فعلت رائحة الخشب المحروق فيهم فعل المخدر تقريباً وهذا ما فعلته أيضاً أصوات المغنين والإيقاعيين.. لم تكن الموسيقى هادئة بل موسيقى مخصصة لدفع الأعصاب إلى القفز بتوتر. هبت نسمة خفيفة فتصاعدت معها ألسنة النار.. وفي تلك اللحظة بالذات، باشرت النساء غناء جميلاً.

أحست إيڤ بالرعشة تسري في أوصالها: «أوه.. !»

نظر غارث إليها وشد ذراعه حولها.. لم يعد من السهل الآن لعب الدور الذي أرادته.. فالتصاقها بغارث فعل فعله. آه ليتهما هنا بمفردهما، ولكن من العبث التفكير هكذا.

كاد الليل ينتصف، لكن أبناء زمن الحلم كانوا مستعدين للاستمرار ساعات أخرى.

فجأة قالت ڤيكتوريا: «علينا العودة، أردت البقاء ساعة واحدة».

حثتها إيڤ وهي في أحضان غارث على الانتظار قليلاً ولكن ڤيكتوريا انزعجت من الموسيقى والغناء الرتيب.. «لا أظن هذا».

قال غارث، يبدي رغبته في البقاء:

ـ تكاد الرقصة تنتهي.. لقد شاهدت هذا «الباليه» مذ كنت طفلاً.. ولكنني لم أشاهده قط أفضل من الآن.

تدخل ستان، مشدوهاً بكل ما يراه.

ـ إنها رائعة! إيزاك هذا يمكن له أن يثير أي مسرح في العالم!

ما هي إلا دقائق، حتى توقف الرقص وتوقفت معه الطبول والعصى والدندنة والغناء.

في طريق العودة إلى المنزل أثنى ستان على الأداء الكامل فسألته إيڤ:

ـ هل أستطيع الخروج معك غداً ستان؟

ـ بالطبع إذ ستفيدني معرفتك بالمنطقة.

ـ أود اصطحاب أنيتا معي.

لم يتردد ستان: «لك ذلك».

بدا على كريستين الجالسة في الوسط بين دايڤد وستان، الغضب الشديد:

ـ يستحسن ترك أنيتا في المنزل.

قالت إيڤ بلطف: «ولكنها تحب الخروج إلى الزهور البرية».

انقطعت عن الكلام قليلاً ثم أردفت:

ـ بإمكانها تعلم الكثير بمراقبة ستان.

ـ تقصدين أن بإمكانها الوقوف في طريقه.

قال ستان بعذوبة:

ـ لن تقف في طريقي.. أنا مهتم بكل النباتات الصغيرة التي تنمو في المناطق الجرداء عادة..

قال العم دايڤد: «تصنيف الزهور والنباتات مهمة غير سهلة».

كان العم يحاول إلهاء زوجته عن موضوع الطفلة فأسرع ستان

www.elromancia.com

يساعده بسرد أمثلة خدعت الخبراء.

في المنزل أرادت ڤيكتوريا تناول العشاء فقالت كريستين بجفاء متصلبة.

ـ لا شك أن السيدة كوك في الفراش.

تورد وجه ڤيكتوريا بسبب لهجة كريستين ولكنها حافظت على ابتسامتها.

ـ لا بأس في هذا! فأنا موهوبة في الطبخ.

ـ وأنا أكرهه!

ـ إن أفضل ما قمت به في حياتك مجيئك إلى منزل الأحلام.

إنها ملاحظة مهينة بحق كريستين فشعرت إيڤ بالحرج عوضاً عنها.. ثم تذكرت أنها لم تقل لأحد شيئاً عن ماضيها أو عائلتها فغضت النظر عن ذلك.

بعد انصراف الجميع أمسك العم دايڤد ذراع إيڤ.

ـ هل لي أن أكلمك على انفراد.

ـ طبعاً عمي دايڤد.

نظرت إلى وجهه الوسيم المميز، تفكر أن من الغريب أن يفتقر إلى الديناميكية والنوعية، والقوة التي ميزت شخصية أخيه في الماضي، وابن أخيه في الحاضر.

ـ تعالي إلى غرفة الجلوس إذن.

بعدما جلسا، رفعت وجهها البريء الجميل:

ـ نعم؟

ـ لماذا تكدرين كريستين عزيزتي؟

ـ ولكنني لا أفعل ذلك.

ـ أنت تفعلين ذلك عن غير قصد.. أعرف أنك تملكين أطيب قلب في العالم ولكن الواقع أنك تزعجينها كثيراً.

ـ أوه.. لا!

ـ أرجوك عزيزتي.. لا أريد إغضابك، فأنا شغوف جداً بك..

ـ وماذا فعلت يا عمي دايڤد؟

ـ أعرف أنك لا تقصدين إزعاجها لكن كريستين تدعي أنك تحاولين تقليل قيمتها في نظر غارث.

قالت برصانة: «يا الله!»

صمت العم دايڤد قليلاً ثم قال:

ـ جرى بيننا حديث طويل قبل العشاء.

أردف: «أعرف أن غارث طرد تلك المرأة، وأنا صراحةً مسرور بذلك. لكن كريستين استخدمتها، وتشعر بأنها نجحت في عملها، وأسبابها وجيهة، لا أظنك تدركين كم هي سيئة أنيتا. أتعرفين أنها كسرت مزهرية خزف «المينغ»؟

ـ أجل.. أعرف.

ـ لم تقل أمي كلمة.. وتلك المزهرية كنز لا يعوّض بثمن!

ـ لا أعترض.. إنما ليس في الكون من هو أهم من الإنسان..

ـ ماذا تقصدين عزيزتي؟

رفعت إيڤ عينيها الخضراوين المغرورقتين بالدموع.

ـ عمي دايڤد.. ألا تعلم أن ابنتك الصغيرة تعسة إلى حد اليأس؟

ـ حبيبتي.. حبيبتي،، أتظنين أنني لم أكن تعيساً كذلك؟ أتخلى عن كل ما في الدنيا مقابل كلمة منها تقول فيها إنها تحبني ولكنها لا تتجاوب أبداً. وهل هناك من ينساك وأنت في مثل عمرها؟ كنت بهجة للنظر والنفس، ويحزنني أن صغيرتي ولدت مضطربة.

ـ لم تولد هكذا.. لقد عرضتها على الكثير من الأطباء الذين أكدوا أن لا عيب فيها، هي بحاجة إلى الحب والعناية ليس إلا.

ـ لكننا جميعاً نحبها.. كدت أجن حين أصبحت أباً.. خلت أنني

www.elromancia.com

باق على عزوبيتي إلى الأبد. . فما من امرأة حركت عواطفي بعد حبي الضائع سوى كريستين.

ـ آه. . عمي دايڤد!

أحست برغبة في البكاء فعندما كان شاباً خطب ابنة عم إنكليزية، قتلت إثر سقطة عن الجواد وقد أحزنت المأساة جميع أفراد العائلة خاصة العم دايڤد الذي كان يعبدها. وقال وكأن الحادثة وقعت البارحة:

ـ صغيرتي لاورا. . !

أمسكت إيڤ بيده فانحنى يقبل خدها.

ـ باركك الله. . ما زلت طفلة ولكنك تفهمين.

ـ أعرف معنى الحب عمي دايڤد. . وأعرف معنى أن تُحرم ذلك الحب. . ستكون أنيتا على ما يرام، وستكون سعيدة، وأنت كذلك. ولكن الأمر يحتاج بعض الوقت. .

تنهد العم دايڤد: «إنما هل علينا مضايقة كريستين؟ إنها بطريقة ما منعزلة كأنيتا».

أكدت له ببطء: «لهما بعض الخصائص المشتركة».

ـ لا تجدك أهلاً لرعاية أنيتا. على أي حال ما زلت فتاة صغيرة على العناية بطفلة مثلها.

قالت بسرعة: «في الواقع أحرز تقدماً واضحاً مع أنيتا فهي تحبني عمي دايڤد. . وتثق بي، وتعرف أنني صديقتها. لم تحرز الآنسة بورتون تلك النتائج إلا بالإرهاب».

ـ أوه. . هيا الآن إيڤ. .

ـ علينا أن نتجاوز الواقع. أتعرف أنها كانت تحبسها في غرفتها لتضبطها.

قطب العم دايڤد، وهو يعرف تماماً نوبات ابنته:

ـ وهل كان عليها إخراجها لتسبب المزيد من الدمار؟

ـ لقد سلبتها حريتها. . أنت تعرف الجياد البرية. . ماذا تفعل في الأسر؟ الحرية أهم شيء في العالم. . حرية الحركة. . ولقد عانت أنيتا الأمرّين وهي محبوسة في غرفتها.

قال وكأنه يدافع عن نفسه: «لم يكن سجناً بالضبط».

ـ بل كان سجناً، والآن ستنتقل إلى الغرفة الجديدة فقد أوشكوا على الانتهاء من طليها.

ـ لكن كريستين لا توافق.

ـ لكنك تبدو موافقاً.

ـ لا يمكننا إزعاجها والتغاضي عن رغباتها.

ـ اللعنة على كل شيء عمي دايڤد. . أنت أبوها!

علت الحمرة وجه العم دايڤد.

ـ أظنك بهذا تنعتيني بأنني أب سيء.

وضعت رأسها على كتفه:

ـ لا. . لا. . أنت مصاب بخيبة أمل في أنيتا. . وترغب في عدم إغضاب كريستين. . ولكن عليك من أجل مصلحة الجميع أن تتصرف لأنك إن لم تتصرف الآن خاطرت بإعاقة أنيتا.

ـ يا فتاتي الحبيبة، وهل أنت قادرة على أن تحكمي؟

ـ أعرف عمي. . أعرف معنى الجرح الداخلي. . ولن أسامح راكيل أبداً. . أوه. . انسَ الأمر!

نظر إليها برعب:

ـ أعتقد أن حبنا لك لم يعوضك عن غياب راكيل.

ـ لا. .

كان صوتها رقيقاً معذباً. . فقد اضطرت منذ مقتل والدها للجوء إلى أي شخص طلباً للعزاء والعناية. كم من مرة رمت ذراعيها بذعر

www.elromancia.com

حول عنق الجدة، ودايڤد، وغارث..

سألها بهدوء:

ـ ماذا تريدين أن أفعل؟

ـ كن ما أنت عليه، سيد الدبلوماسية، خفف قلق كريستين، ولكن آزرني وادعمني. أنيتا تريد غرفة نوم جديدة، تريد المساحات والحرية في المنزل وخارجه.. قد تكون الأمور متطرفة لفتاة في الرابعة، ولكنها حتى الآن تتجاوب بطريقة ملفتة للنظر. أنا أتصرف معها بعفوية وهي تنضم إلي، وترشدني أحياناً عمي دايڤد. ربما أتلقى المساعدة من الله.. ربما هو الذي يرشدني.. أرغب كثيراً في القيام بما يستحق العناء.. فحياتي حتى الآن ملأى بالفوضى التي يسارع غارث إلى إنقاذي منها.

ـ إصغي إلي حبيبتي.. إنه يستمتع بهذا.. في غارث جانب رومانسي، وقد يكون فارس أحلام.

ضمها إليه، فابتسمت:

ـ هل ستساعدني عمي دايڤد؟

ـ إن لم أساعدك فلن أكون من عائلة ماسترز.. فلدينا فرسان في عائلتنا!

* * *

٧ ـ في أرض السراب

أجلوا رحلة الاستكشاف حتى اليوم التالي بسبب خوف أنيتا من الجياد، فهناك يحتاجون للجياد، أما في الصحراء فيمكنهم استخدام الجيب.

قالت إيڤ لستان: «أنت رائع ستان».

ابتسم ستان للطفلة الصغيرة: «أبداً.. تعجبني قبعتك أنيتا».

ردت بفخر: «زينتها بنفسي».

وهذا صحيح، فقد زينت قبعتها بأزرار ملوّنة..

ـ حسن جداً.. هيا بنا يا فتيات! هل نسيتما سلة الطعام؟

قالت إيڤ: آه لا! لم ننسها. لقد أعدّت لنا كوك مليون سندويش وقد أصاب بالتخمة إن أكلت منها جميعها.

انحنى ستان ليحمل الطفلة.

ـ حسناً.. بإمكانك آنسة ماسترز أن تدليني على الطريق.

كان يوماً مشرقاً جلسوا في أحضانه هانئين. وفيما كان ستان يسجل ملاحظاته ويرسم رسماته ويجمع النماذج للمعاينة كانت أنيتا منحنية فوق الورقة البيضاء السميكة ترسم بدون تردد.

بين الفينة والفينة كانت أنيتا تنظر إلى إيڤ لترى ردة فعلها على الرسم، ولكن إيڤ كانت تبتسم بدون تعليق. لم يكن من السهل تقويم رسم أنيتا، إلا بالقول إن هذه الصغيرة ذكية.

www.eltromancia.com

حين رأى ستان رسم أنيتا المعقد صاح:

- يا إلهي!

قالت إيڤ باعتزاز: «عرفت أنك ستبدي اهتماماً».

لم يسجل وجهه الاهتمام فقط، بل الذهول أيضاً:

- إنها طفلة موهوبة.

قالت أنيتا: «لم يعلمني أحد».

قال ستان: «يا لك من فتاة تثير العجب».

***

بعد ظهر ذلك اليوم قلبت الجدة صفحات الدفتر الأبيض تتأمل رسمات أنيتا الملونة واحدة واحدة.. ثم قالت بدهشة ورجاء: «يا رب العالمين».

- أليست رائعة جدتي؟

أمسكت الجدة يد إيڤ.

- وأنت رائعة أيضاً.. تذكري أننا ما كنا لنعرف موهبتها لولاك.

- لا يعود الفضل إليّ، فقد ورثت أنيتا قدرتها عن أمها.

- لكنك من اكتشف هذه المعجزة الصغيرة.. فاحترمي قدراتك.. فلقد نجحت حين فشل الجميع. أنت الوحيدة التي تمكنت أنيتا من التعامل معها. ألا تظنين أنني لم أحاول يائسة.. أنيتا الآن أسعد حالاً مما كانت يوماً.

- جدتي..

ظهرت كريستين في باب غرفة جلوس الجدة وعلى وجهها غضب شديد.

- نعم عزيزتي؟ (قالت الجدة)

- من وضع ميا مسؤولة عن أنيتا؟

ردت إيڤ دهشة: «أنا».

- يا فتاتي العزيزة لن أقبل أن تعتني ميا بأنيتا.

سألت الجدة: «ولم الرفض عزيزتي؟».

- لن أتخلى عن ابنتي لجاهلة صغيرة نصف متوحشة.

قالت الجدة بهدوء:

- لا يا كريستين.. ميا تعلمت هنا في المزرعة.. إنها فتاة ذكية طيبة، ويحزنني ما أسمعه منك من انتقاص لشأنها.

- لقد تعلمت أن السود سيئين!

سألت الجدة ببرود حاد: «من علمك؟»

لوحت كريستين بيديها في الهواء بعصبية.

- علمني الجميع ذلك، وما زلت أذكر ذلك الراعي المجنون.

- إن كنت تذكرينه فهذا يعني أنك تعرفين أن الورم الدماغي الذي قتله كان بسبب ضربة حادة أنزلها به أحد جيادنا.. نحن نعتمد كثيراً على أهل البلاد الذين يعملون بحماسة لترتقي وتزدهر الوايت هاند.

اغرورقت عينا كريستين السوداوان بالدموع، ليس ندماً بل غضباً وإحباطاً.

- آسفة جدتي.. أنا ببساطة لا أريد أن ترعى تلك السوداء ابنتي الوحيدة.

- في هذه الحالة عزيزتي.. كوني أنت مسؤولة عنها بشكل مباشر

خرجت كريستين والشرر يتطاير من عينيها. أما الجدة فوضعت وجهها بين يديها: «ماذا ستفعل؟»

- ألن يصحب العم دايڤد كريستين في إجازة؟

- لا.. لن يُبعد شيء دايڤد عن الوايت هاند التي تكرهها زوجته.

- لا أحد يكره الوايت هاند. قد تجدها موحشة ربما.

تنهدت الجدة: «ربما ليس هناك بديل مع ذلك.. ما يعزيني هو أنني قادرة على محادثتك إيڤ.. أنت من العائلة ويمكنني الوثوق

www.elromancia.com

بك».

- هل ألحق بكريستين؟

- لن يضيرها الاهتمام بطفلتها.

- سأذهب حالاً. فكرنا أن نريها الرسوم.

أمسكت كومة الرسوم: «خذيها الآن».

كانت أنيتا تصرخ في غرفة الدرس.

- أكرهك.. أكرهك.. أكرهك!

هرعت إيف لتسمع في الوقت المناسب دوي صفعة حادة:

- أيتها الفتاة الصغيرة القبيحة الغبية!

وقفت إيف في الباب مصدومة.. فقد بدت ميا مرعوبة، وأنيتا غاضبة وعلى وجهها بقعة أما كريستين فكانت تنحني فوقها وكأنها تهم بصفعها من جديد.

صاحت إيف: «كريستين»

ردت بغضب شديد:

- إذن أنت هنا.. أليس كذلك؟ ما أشد ما كنت حمقاء عندما أذعنت إلى طلب غارث! فلا فائدة منك في رعاية أنيتا!

لم تستطع إيف مقاومة السؤال: «كيف؟»

- إنها تصرخ في وجهي كحيوان متوحش!

التفتت إيف إلى الفتاة السوداء المرعوبة:

- اذهبي الآن ميا.

صاحت كريستين كالمجنونة:

- من يعطي الأوامر هنا..؟ أنا أكبر منك وأنا السيدة دايفد ماسترز!

قالت إيف بهدوء: «شكراً لك ميا».

- حاضر يا آنسة.

وانسحبت ميا من الغرفة ممتنة لها. أما كريستين فظلت تصرخ

- تريدين أن يكون لك سلطة؟ اللعنة عليك لا تلقي الأوامر أبداً أثناء وجودي!

قالت إيف مرة أخرى بهدوء:

- أنيتا، لماذا لا تلقين نظرة على الدهان لمعرفة ما إذا جف.

لم تكن الدموع التي سرت على وجنتي أنيتا دموع طفلة:

- كنت سيئة إيف. أنا شريرة، سيئة، قبيحة.

- بإمكانك إيقاف هذا متى شئت.. أنت إنسانة تنمو.. وأنت مستعدة لتكوني مسؤولة عن نفسك.. لك أن تبقي أو تصرخي أو تفعلي ما أطلبه منك.. القرار يعود إليك.

نظرت أنيتا إليها بعينين ملؤهما الألم، وقالت:

- ثمة أشياء كثيرة أقوم بها.

- أجل.. ويمكنك الخيار ثم اتخاذ القرار. لك أن تكوني شريرة أو خيرة.

قالت أنيتا بهدوء:

- سأتفقد الدهان.. لن أسمح إلا لك أنت بدخول غرفتي الجديدة.

بدا على كريستين الكراهية والغيرة:

- أراضية أنت الآن؟

توسلت إليها إيف:

- أرجوك اهدئي! ثمة شيء ما أريد أن أريك إياه.

هزت كريستين رأسها بحدة:

- قدرت على تحملك في طفولتك إيف أما الآن فأعترف أنني لا أحبك أبداً.

- ولمَ تكرهينني؟ ماذا فعلت؟ ما زلت الشخص نفسه.

www.elromancia.com

ابتسمت كريستين ابتسامة ساخرة غريبة.

- لا، ما عدت الشخص نفسه. فحتى العزيزة ڤيكتوريا لم تسلم منك.. كانت تمثيلية رائعة تلك التي قمت بها مع غارث ليل أمس.

- لا أفهمك.

- بل تفهمين! أتعتقدين أن امرأة لا تعرف ماذا في نفس الأخرى؟ خاصة إذا كانت تحب.. وأنت تحبين غارث.. أحببته في طفولتك إذ كان بالنسبة لك الشجاع والوسيم المفعم بالحياة. ولكن الأمر اختلف الآن.. لقد اكتشفت الجاذبية واكتشفت الإثارة وهما شيئان لم تدركيهما من قبل. أنت لا تحبين غارث فقط، بل تموتين به حباً.

قالت إيڤ بهدوء: «هل لنا العودة إلى موضوع أنيتا؟».

- إذن.. أنت لا تنكرين ما قلته.

قالت بجفاء: «وهل ستصدقين قولي؟ على أي حال كريستين.. ڤيكي وغارث متفقان على أتم وجه».

- هذا ممكن، لكن ما تملكه، لا يهم كثيراً رجلاً مثله.. أتخالينه لا يتزوجها لو كان يحبها؟

- ربما يريد أن يعرف ما إذا كان قادراً على القيام بالعمل، فليس من السهل إدارة مزرعة وإبقاء الجميع سعداء. على المرء أن يمتلك اللمسة المناسبة.

- لقد أعجبها ما فعلته بها ليلة أمس، تحتضنين غارث، وتسرقين اهتمامه كله.. إنه ينظر إليك كطفلة جميلة، أو شقيقة صغيرة.

- أريد فقط أن تلقي نظرة على رسومات أنيتا.. فلأريك إياها.

ولكن كريستين كانت قد ارتدت على عقبيها.

- أنا واثقة أن في الرسوم لمستك.

حاولت يائسة أن تكسب اهتمامها:

- كريستين، أنا لا يمكنني أن أرسم حتى دائرة.. أرجوك ألقي

نظرة.. لقد رسمتها اليوم.. واعتقدت أنا وستان أنها ممتازة.

- بالنسبة لمسكينة مثل أنيتا كما أظن.

أدارت كريستين ظهرها متعمدة، وبهذا أدارت ظهرها لابنتها.

* * *

في الصباح، اكتشف أحدهم أن فرساً ثمينة اختفت، وهذا ما سبب اضطراباً. حين عاد غارث إلى المنزل ليأخذ بندقيته سألته الجدة: «ماذا يجري؟ ماذا حدث؟».

- اختفت الفرس كولومبينا.

لحقت به ڤيكتوريا برشاقة:

- أخذها على ما نظن جواد بري.. وعلينا أن نبحث عنها.

نادت إيڤ عن الدرج: «هل لي بمرافقتكم؟»

نظرت ڤيكي إلى غارث: «لكنك ستعترضين طريقنا، رأى بعض الأولاد الفحل، إنه أكبر من أن يكون جواداً برياً».

أصرت إيڤ: «أرجوك غارث».

هز رأسه يا للدهشة!

- حسن جداً.. سننتشر في كل صوب وحدب أما أنت فستبقين برفقتي.

لحظتئذ فكرت في أنيتا، ولاحظت الجدة هذا، وقالت:

- لا تقلقي على أنيتا عزيزتي.. في المنزل ما يكفي من نساء للعناية بها لبضع ساعات.

قال غارث متجهماً:

- قد يستغرق الأمر وقتاً طويلاً جدتي.. إذا كان هو الفحل الذي نفكر فيه، فهذا يعني أنه شرير فقد هوجم جواد أليف بعنف، ووجد كيرك فحلاً برياً ميتاً منذ ستة أسابيع.

قلقت الجدة: «حذار إذن».

ما هي إلا عشرون دقيقة حتى انطلق ستة فرسان متنفين الأثر الأسود.

سارت فيكتوريا إلى جانب إيف تحدثها:

- لا أفهم سبب مجيئك، فالشمس تزداد حرارتها مع تقدم النهار.

- لن أذوب.

نظرت إليها فيكتوريا نظرة ملؤها الكره:

- لا أظنك ستتحملين المسافة.. فأنت لم تركبي الخيل منذ مدة، ولن تتمكني من المواء كقطة صغيرة حين تؤلمك عظامك.

قالت إيف بحدة: «لا تقلقي عليّ فيكي، أنا أشدّ عوداً مما أبدو عليه».

نظرت إليها فيكتوريا نظرة إشفاق:

- حقاً؟ كلما أتيت إلى المزرعة قمت بعمل أحمق.

سألتها بلؤم:

- أليس هناك من لا تنظرين إليه على أنه أقل منك شأناً؟ قد أكون القريبة المسكينة الفقيرة، ولكنك تلاحظين أن الجدة وغارث لا يعاملانني على هذا الأساس. وإن استمريت في الانقضاض عليّ بكلماتك القارصة أقسم أن أخبرهما.

نظرت فيكتوريا بدهشة واستغراب

- آسفة لأنني أغضبتك.. لم أقصد ذلك.

- يجب أن تبذلي المزيد من الجهد لتكوني لطيفة!

وابتسمت لها بعذوبة، وانطلقت مبتعدة عنها.

وقت الضحى، التقوا بجوادين هاربين. قال غارث وعيناه ضيقتان بسبب وهج السراب:

- إنهما أخوان، من أب واحد ولكن من فرسين مختلفتين.

سألت إيف التي تذهلها دائماً رؤية الجياد البرية الراكضة.

- أليس غريباً كم يشبهان بني البشر؟ إذ تشعر الخيول حتى بصلة القربى كحالنا نحن. إنها تحب، وتخلص، وتغار.. الذكور تسيطر على الإناث، وغريزة الحماية لدى الذكور قوية جداً. والفحول تميل إلى نوع معين من الأفراس.

قاطعت فيكتوريا تعجب إيف بحدة:

- إنهما يتوغلان في منطقة ذلك الفحل.

ردّ غارث: «لا نعرف إن كانت هذه المنطقة منطقته. قد نجد عدة فحول شبيهة به في هذه المنطقة، ولا نعرف من منها أخذ الفرس كولومبينا».

قال العم دايفد:

- لكن كيرك والشباب وجدوا الجواد الميت غير بعيد عن هنا. ولا شك أن معركة ضارية وقعت بينهما، فالفحول عادة لا تحاول تجاوز الحدود.

قال غارث متجهماً:

- تجاوز ذاك الفحل هذه المرحلة. لا شك أنه فحل أحمر متشرد وقوي ومتوحش. وإن حاولت الفرس العودة إلى منطقتها فقد يؤذيها مصراً على ضمها إلى رعيله.. وهي فرس ثمينة جداً.

قال كونواي، المراقب الأسود، الذي انضم إليهم، مريحاً جواده كالآخرين:

- قد يقودنا هذان الجوادان إلى الفحل!

- ربما.. فهما لا يبدوان قويين أو عدائيين لتحدي فحل مسيطر.

خلع كونواي قبعته ومسح العرق عن جبينه بظاهر كفه:

- على أي حال، حدث هذا من قبل يا معلم.. لقد هزم جوادان فتيان فحلاً متوحشاً.

- إن كان هو الفحل الذي أخذ كولومبينا، فلا أمل لهما. فهما

أصغر من أن يتدرا على هزيمته أو على الاستيلاء على رعيله من الإناث.. على أي حال، قد يبرز الفحل ليبعدهما عن منطقة نفوذه. وفي هذه الحالة، نكون بالانتظار.

قالت إيف محتجة:

ـ لن تقتله غارث، أليس كذلك؟

ـ سأعرف ذلك في الوقت المناسب.. كان سهلاً عليه أخذ كولومبينا وسيعود ليأخذ المزيد من الأفراس وهذا ما لن أتسامح به..

ـ ألا يمكنك إبعاده؟

رد بدون تردد:

ـ لا.. سنسير عكس اتجاه الريح لنرى ما سيحدث.

قالت فيكتوريا لإيف بعد انطلاق الرجال:

ـ لماذا لا تعودين؟ قد يكون هذا العمل أعنف مما تظنين.

نظرت إليها إيف بعينين باردتين:

ـ ما ظننتها رحلة إلى حديقة.. هيا بنا، فلنلحق الرجال.

كانت مسافة طويلة قادتهم إلى مستنقعات خبأ فيها الجوادان فرساً صغيرة لهما. قال غارث:

ـ هذا هو المطلوب.. سيلتقط الفحل رائحة الفرس الصغيرة ويأتي في طلبها وهي كستنائية أيضاً.. صحيح إنها لا تماثل كولومبينا جمالاً ولكن لونهما واحد.

كانت إيف تتأمل الفرس الصغيرة عن كثب.. وقالت:

ـ وكأنما طردها أبوها.. وإلا كيف وجدها هذان الجوادان؟

قالت فيكتوريا: «ربما هي ابنة ذلك الفحل نفسه».

كان غارث يحدق إلى الفرس الصغيرة الرائعة ذات الجلد الكستنائي والعرف البني الأحمر كذيلها.

ـ لا أظن هذا.. أظن أن لون القاتل أحمر قاتم كلون خشب

«الماهوغوني» أما عرفه وذيله فأسودان.

في تلك اللحظة بالذات، خرج أحد الرعاة من بين الأشجار كالرصاصة.. فصاح غارث: «اللعنة».

وكان أن ذُعر الجوادان والفرس.

ـ أوقف ذلك المغفل الأحمق، هيا كونواي!

إنهم الآن في أرض تغلي فيها الماء وتحيط بها الصحراء ومما زاد الموقف سوءاً، الحرارة غير الطبيعية. بدت السهول المغطاة بالأزهار المتمايلة والبارقة في ظل السراب الغض مسطحة وغير محدودة ولكنها كانت في الواقع أرضاً متحركة، تتصل بأرض أعلى منها مغطاة بالقصب.

صاح غارث يطلب التوقف:

ـ إنها في مكان ما هناك، وهناك أيضاً الفحل ورعيله (جماعته).

قال العم دايفد: «أشك في أن نقبض عليه اليوم».

ـ سيخرجون آخر الأمر طلباً للماء.

رفعت فيكتوريا قبعتها، ومررت يدها في شعرها الأسود القصير: «أظننا بحاجة إلى حمام سريع».

قال غارث: «ينبئني حدسي بأنه غير بعيد عنا».

التفت إلى إيف فلاحظ وجهها المتورد: «ما بك إيف؟».

ـ لا شيء.

ولكنها كانت في الواقع متألمة.

قال العم دايفد: «يستحسن توقيف المطاردة غارث.. تبدو إيف متعبة».

ـ لست متعبة!

قالت فيكتوريا بلطف: «لا تنزعجي يا عزيزتي من الاعتراف، فقد صمدت بشكل رائع حتى الآن».

www.elromancia.com

قال غارث مقرراً: «سنستريح إذن. هل تريدين العودة إيف؟»

رفعت رأسها بعناد: «لا، لا أبداً».

قالت ڤيكتوريا: «لا أستبعد وقوعك عن صهوة الجواد».

ردت عليها: «سأقع بالتأكيد إن اعتمدت عليك».

امتقع وجه ڤيكتوريا وبدت غاضبة، ولكن ما إن همت بالكلام حتى منعها غارث بقوله:

ـ سنواصل المسير حتى بركة الماء.

ما إن وصلوا إلى البركة المنشودة حتى انهمر المطر الذي تابع تدفقه مدة ربع ساعة، اختبأوا فيها تحت أشجار عجّت بعصافير تنشر أجنحتها، وتنفض ريشها المبلل وتنادي بعضها بعضاً.

توقف المطر بسرعة وانقشعت الغيوم أما الهواء فأصبح أبرد.

خلعت إيف قبعتها، فالتصقت خصلات شعرها المبللة حول وجهها كهالة ذهبية مشعة.

قالت إيف: «أليست رائحة الهواء سماوية؟ إن أكبر دور العطور في العالم تتمنى لو تعبىء هذه الرائحة في زجاجات لتبيع الأونصة منها بثروة.. وها نحن لا نضطر إلى دفع سنت واحد!»

علقت ڤيكتوريا، وقد أحبطها جمال الفتاة المميز:

ـ خلتك لا تحبين الطبيعة؟

لم ترد عليها إيف.. فقد مدّ غارث يده، وكأنه لم يستطع المقاومة، وأمسك خصلة ذهبية لفها حول إصبعه.

ـ يا له من شعر غريب! تبدين طفلة.

حاولت ڤيكتوريا المزاح بعدما حطت عليها عينا العم دايڤد الماكرتان:

ـ هذا من نصف حظك!

قالت له إيف: «إن كان لا يعجبك فسأملسه».

ـ لا أظن أن أحداً منا يريد هذا.. ثم أنا أحب الأطفال.

فكرت ڤيكتوريا في نفسها: «أتحب الأطفال حقاً؟ لو كان ذلك صحيحاً لتزوجتني منذ زمن بعيد.. اللعنة، أصبحت في الثامنة والعشرين ولن أقبل أن تحول بيننا فتاة نكرة جميلة.. يبدو أن أمها أرسلتها إلى المزرعة في الوقت المناسب.. ولكن كيف تفرقهما وغارث على ما يبدو مغرم بها حقاً».

انتشلت ڤيكتوريا من أفكارها عودة الجياد الثلاثة إلى الظهور. في المقدمة الفرس الصغيرة، والجوادان في إثرها. كانا حتى الآن يتشاركان الفرس الصغيرة، ولا يسمحان لها بفسخ صداقتهما الجميلة.

همس كونواي في إذن معلمه:

ـ والآن.. ماذا ستفعل؟

ـ سنحافظ على هدوئنا ونترقب ما هو قادم.

لم يطل الوقت.. ففي ما كانت الجياد الفتية تشرب، ظهر فحل من بين الأشواك البرية وأشرف عليهم من أرض مرتفعة، وهز عرفه السميك الأسود.

كانت معظم الجياد البرية التي شاهدتها إيف في حياتها غير مؤذية.. أما هذا فبدا قوياً، مخيفاً، ينظر إلى الجوادين نظرة مهلكة.

همس كونواي: «ها قد وصلت المتاعب».

وسرعان ما بدأ المشهد فقد صهل الفحل صهيلاً عظيماً ثم توجه نحو الجوادين اللذين حاولا ضربه من الجانبين ففشلا لأنهما لا يضاهيانه قوة وقد تلقى كلاهما ضربات موجعة حتى تراجعا مدميين. عندئذ لم يبق أمام الفحل إلا التقاط الفرس ليضمها إلى رعيله.

قال غارث: «أراهن أنه ضالتنا».

تمتم العم دايڤد: «حيوان عظيم ولكنه شرير».

قالت إيف: «يا للفرس المسكينة لقد أخضعها الآن».

www.elromancia.com

ـ سنمهلهما الوقت حتى يستقرا، ثم نرى بعد ذلك.

انطوى الجميع فوق جيادهم ليخرجوا من بين الأشجار الملونة هنا وهناك.

همست إيڤ حالما وصلوا إلى أعلى التل:

ـ إنها هناك..

قال كونواي: «كولومبينا في الوسط».

قالت ڤيكتوريا: «كم سأستمتع بما سيحدث».

نظرت إليها إيڤ بحيرة:

ـ صحيح؟ أنا لا أريد رؤية الفحل يقتل.

ـ إن لم يقتله خسر غارث المزيد من الأفراس الثمينة.

قاطعهما غارث: «يا إلهي! ستغير الريح اتجاهها».

نظر كونواي إلى أغصان الشجر:

ـ هذا ما يبدو لي.. تباً، تباً.

رفع الفحل المتوحش رأسه المتعجرف كردة فعل على الرائحة التي حملها إليه الهواء.. وقف لبرهة في مواجهة مخبئهم.. ثم صهل محذراً رعيله.

خوفاً من سيطرة الذكر المتسلط، أطاعت الأفراس الإشارة باستثناء كولومبينا والفرس الصغيرة. لكن الفرس الصغيرة الغريبة تلقت عضة مؤلمة فبدأت فرارها.. ولكنه لم ينهج هذا المنهج مع الفرس الكستنائية الجميلة بل عوضاً عن ذلك اتخذ وقفة سوق القطيع، وأخذ يلوح برأسه الرائع مديراً رأسه في جميع الاتجاهات وكأنه أفعى.

أدهش لين الحيوان وصبره مع الفرس كولومبينا غارث.

ـ إن لم يعضها الآن تشتت رعيله.

كانت الأفراس الأخرى تركض كالمجنونة نحو تلة بعيدة ترتفع على شكل قبة عن السهل الواسع.

قال العم دايڤد بقلق:

ـ حسناً.. ماذا سنفعل؟ هل نخيّم هنا لنعاود اقتفاء أثرها في الصباح؟

لم يعترض كونواي على المبيت ليلة تحت النجوم فقال:

ـ لقد قطعنا هذه المسافة.. ويبدو أن كولومبينا لا تريد الذهاب.

همست إيڤ:

ـ وهو يجدها ثمينة جداً إذ يكاد يخاطر بإناثه الأخريات.. ربما فيه ما هو جيد على أي حال.

ما هي إلا لحظات حتى تخلى الفحل البري عن لينه فعضّ كولومبينا عضة مؤلمة جعلتها تعدو أمام خاطفها. أحست إيڤ بحلقها يجف وهي تراقب هروبهما المجنون. كانا متفوقين ومن الواضح أنهما سيلحقان ببقية المجموعة البعيدة.

زفر غارث أنفاس إحباط وسخط، ثم التفت إلى عمه.

ـ رافق الفتاتين إلى المنزل، أما أنا وكونواي فسنبقى.

ردت ڤيكتوريا بصوت ملؤه الثقة بالنفس:

ـ أنا على ما يرام، أما إيڤ فأظنها اكتفت.

ولكن إيڤ أكدت: «وأنا بخير أيضاً».

ابتسم العم دايڤد:

ـ بصراحة، أنا لست بخير، ظهري يؤلمني جداً.

وضع غارث يده على كتف عمه:

ـ كان يجب أن تقول هذا. غادروا الآن حتى تصلوا قبل الغروب، وقل لكيرك إنني لن أحتاجه في الصباح.

التقت عينا العم بعيني إيڤ.. وقال كأنه يقرر أمراً واقعاً: «ألن ترافقينني إيڤ؟»

قالت ڤيكتوريا بلطف: «لا تكوني محرجة إيڤ فقد صمدت

نسبياً».

أوشكت إيف على القبول بالعودة لا بسبب رغبتها في ذلك بل بسبب أنيتا.. ولكن تعبير وجه ڤيكتوريا الخبيث محا كل تفكير في الواجب من رأسها.

ـ عمي دايڤد لقد مضى عليّ زمن طويل منذ أن خيّمت في العراء.

هز رأسه: «حسناً يا عزيزتي انتبهوا لأنفسكم جميعاً».

احتجت ڤيكتوريا عابسة بعد انطلاق العم دايڤد:

ـ لماذا لم تعودي؟

ردت إيف: «وكأنك تحاولين التخلص مني».

قالت ڤيكتوريا بسرعة عندما شعرت بعيني غارث عليها:

ـ لا.. لا.. أنا أفكر فقط في مصلحتك.. ستتشنج عضلاتك غداً.

قال غارث بعذوبة: «ڤيكي أنت تقللين من قدرة إيف التي تملك دائماً طاقة إضافية غير مرئية».

ـ حسن إذن.. لن أقلق عليها بعد الآن.

* * *

٨ ـ أرجوك لا تعانقني

وجدت إيف صعوبة في النوم بسبب تعبها وألم رأسها. عادة كان المبيت في العراء يرسلها فوراً إلى نوم عميق ولكنها هذه الليلة راحت تتقلب باضطراب وكان عواء كلاب «الدينغو» المتوحشة يؤرقها، وتشخير كونواي يزعجها.

همست للجسد النحيل القريب من يدها: «غارث».

ـ لا تقولي إنك غير قادرة على النوم.

ـ لا.

مالت إليه لئلا تزعج ڤيكتوريا التي غفت بسرعة مذهلة. مد لها يده كما يمدها لأي طفلة متعبة..

ـ أيتها الفتاة الصغيرة السخيفة!

ولكن، ما إن التقت أيديهما وتشابكت، حتى أدركت ما بها.. إنها تريد المواساة، والإحساس بأحضان غارث..

قال لها مهدئاً: «تعالي إلى هنا».

زحفت لتستلقي بجانبه: «يؤلمني رأسي».

ـ لماذا لم تذهبي برفقة دايڤد عوضاً عن ملاحقتي؟

همست بغضب: «أنا لا ألاحقك».

ـ ألا تلاحقينني؟.. هيا استلقي على كتفي.

ابتسمت: «أصغ فقط إلى شخير كونواي».

www.elromancia.com

لف ذراعه حولها، يريحها إلى جانبه:

ـ إنه نوم المرهقين وقد سمعت فيكي تشخر أيضاً.

كان قلبه يخفق تحت أذنها بشدة:

ـ يا إلهي.. خلتها مدربة جداً.. يستحسن بي العودة إلى مكاني قبل الصباح، فلديك امرأة غيور هنا.

ـ اهدئي واصمتي.

ـ حسناً.

حركت رأسها عدة مرات قبل أن تجد المركز المريح له:

ـ هل انتهيت؟

همست: «تصبح على خير غارث».

ـ تصبحين على خير يا وجه الزهرة.

استلقيا فترة طويلة بصمت وكانت موجات وموجات من القلق تعبر جسد إيف الغض الحنايا. كان لغارث تأثير ساحر عليها في الطفولة أما الآن فقد وقعت في حبه.

ـ القمر شاحب.

ـ اصمتي!

لم يكن هناك مجال للخطأ في لهجته المتوترة أو في جسده المتشنج.

ـ ما هو هذا الطائر؟

حركت أنفاسه الدافئة خصلات شعرها: «ألن تستقري؟»

ـ لا أظن.. أحس بالغربة.

استلقى على السرج الذي يستخدمه كمسند رأس.

ـ آه..!

فتنهدت: «أتكلم دائماً في الوقت غير المناسب».

ـ أظنك ستبقين هكذا حتى أقبلك لتنامي.

ـ أنت مجنون!

كان توبيخاً مرتجفاً، فوضع يده تحت ذقنها يرفعه:

ـ هذا ما تقولينه دائماً ولكن الواقع أنني أعرفك إيف.

هددته: «ماذا سيحدث إن استيقظت فيكتوريا؟».

ـ لن نصدر صوتاً.

وضع فمه على وجنتها وكأنه يداعبها، فتأوهت بصوت منخفض وكأنه يعذبها، واستدارت فضمها إليه ليصبح جسدها الصغير اللين ملتصقاً به.

جنون!

ـ غارث..

ـ أنت لي!

كان رده همساً ولكن فيه مشاعر كثيرة كادت تخرج قلبها من بين ضلوعها.

ـ لا.

ما زالت ترفض الاعتراف حتى وجسدها يكشف عبوديته..

تمتم مرة أخرى: «أريد تعذيبك قليلاً».

وهل هناك طريقة أفضل من هذه؟ هي ملتصقة به ضحية الرغبة.. ويده تملس ظهرها.. وتحس في نفسها إثارة كانت حتى هذه اللحظات خفية عنها؟

قالت متوسلة: «أخبرني.. أخبرني لماذا تريد تعذيبي؟»

شدها بقسوة وقال:

ـ ما كان اسم خطيبك الأول؟

ـ أتتوقع مني أن أتذكره؟

تراكم ضغط كبير في نفسها فخدّر أعصابها. رفرفت أهدابها تحاول أن تتبين قسمات وجهه، فشد بأصابعه على خصرها، فدفنت

www.elromancia.com

وجهها في صدره تسحرها مشاعر رهيبة.

لا بد أنها فقدت الوعي، فقد رأته يسند نفسه على مرفقه ويهمس لها:

ـ لا تغيبي عن الوعي عندما تكونين معي!

ردت بعذوبة وضعف: «لا».

مرر إصبعه على شفتيها المرتعشتين.

ـ أظنني أريد منك الكثير..

نظرت إلى عينيه: «ما الذي يصيبني غارث؟»

ـ لقد أحسست الإحساس نفسه منذ زمن بعيد.

ـ منذ متى؟

ـ يصعب التحديد. فلنواجه الأمر حبيبتي فليس هناك ما لست موهوبة فيه.. أنت خلابة.. يا الله! ليس لديك فكرة.. يجب أن أغازلك دائماً لنعالج بهذه الطريقة ميلك إلى فقدان الوعي.

ـ وكأنني أراك تكره نفسك!

ـ لم أخطط للرغبة فيك إيف بل حدث ذلك هكذا.

رفعت ذراعها تطويها فوق جبهتها:

ـ أنا آسفة.. أتراني خطراً عليك؟

أبعد ذراعها يثبتها فوق رأسها واتبعها بالأخرى.

ـ أعرف أنك خطر علي، فطالما كنت معلمك في كل شيء..

ـ إذن.. لا نستطيع فعل شيء؟

نظر إلى وجهها اللؤلؤي وإلى قدها الرشيق المحدد وأطال النظرة فشعرت بازدياد توردها.

قال: «لا.. نحن محظوظان لأننا لسنا وحدنا.. إنها أفضل طريقة لضبط النفس».

قالت بمرارة: «وكيف تضبط نفسك؟»

طأطأ برأسه وكأنما يهم بتقبيلها.

ـ لن أتمكن حقاً من أذيتك. إيف ربما أتمكن من أذيتك قليلاً فقط.

في تلك اللحظة تحركت ڤيكتوريا في نومها متمتمة باسم غارث بصوت مرتفع.

شهقت إيف بجنون: «رباه! أظنك مديناً لها بالزواج».

ـ لديها الكثير مما تقدمه لي أما أنت فلا. أهذا ما تفكرين فيه؟ تعالي إلى هنا واصمتي.

أعاد رأسه إلى سرجه.. وأحست إيف بالإهانة ولكنها اضطرت للبقاء:

ـ شكراً لك.. لا تضع ذراعك حولي.

ـ إن لم يعجبك ذلك اذهبي إلى مكان آخر.

ولكنها لم تذهب بالطبع.

عندما استيقظ غارث في الصباح الباكر وضع رأس إيف الحريري بلطف على الأرض.. كانت تغط في سبات عميق أما هو فلم يذق طعم النوم إلا قليلاً.

ـ معلم؟

وصلت إلى مسمعيه همسة كونواي، فرد عليه:

ـ حضّر نفسك لنتطلق.. لا أريد تعريض الفتاتين للخطر كما لا أريد أن تعترضا طريقنا.

ـ حاضر سيدي!

دلت لهجته على أنه يتضايق من وجود النساء..

أيقظت الطيور المتحركة فوق صفحة الماء الصافية إيف التي هبت من منامها مسرعة تبحث عن الرجلين فإذا هما غير موجودين. كانت ڤيكتوريا وحدها عند حافة الماء.. تغسل وجهها وعنقها.

www.elromancia.com

صاحت إيف بصوت مرتفع: «تباً لهما! لقد رحلا!»

عادت ڤيكتوريا إليها تمسح وجهها من الماء:

ـ إنها غلطتك فعلى ما يبدو أن غارث قلق على حمله الوديع.

ظنت إيف للوهلة الأولى أن ڤيكتوريا شاهدتهما:

ـ وهل يقلقك شيء محدد؟

ـ لماذا جئت إيف؟ ألمجرد الإزعاج؟

ـ حسناً.. أنا بالفعل أزعجك.

ـ وتعرفين السبب؟ أنا أحب الخوض في الموضوع بشكل مباشر. أرى أنك تريدين العبث مع غارث ولا يعجبني ذلك أبداً.

وقفت إيف تطوي البساط: «أرى ذلك بوضوح».

قفز تعبير من نوع آخر إلى عيني ڤيكتوريا:

ـ تعرفين أنك كنت في الجهة الأخرى للنار ليلة أمس!

ـ غيرت مكاني!

نظرت ڤيكتوريا إليها بغضب وارتياب: «لتكوني قرب غارث؟».

قالت إيف متعبة: «ليتك تتوقفين عن الشجار ڤيكتوريا. فما أنا بمضطرة لطلب الإذن منك في أي أمر كان ولا أظن أن غارث مضطر لهذا أيضاً..»

خطت ڤيكتوريا إلى الأمام بعنف وأمسكت ذراع إيف:

ـ ما تفعلينه شنيعاً.. غارث لي!

نظرت إيف إلى يد ڤيكتوريا القوية: «هل تسمحين؟»

ـ قالت أمي إنك تنوين شيئاً.. ماذا دهاك إيف؟ ألأن علاقتك الأخيرة لم تنجح سعيت إلى غارث؟.

نزعت إيف يدها من قبضتها بعنف:

ـ الأعزب يبقى صيداً حلالاً حتى يتزوج أو حتى يخطب امرأة على الأقل.

قالت بانفعال: «ولكننا تباحثنا هذا الأمر..»

كانت بشرة إيف الرقيقة تُظهر علامات أصابع ڤيكتوريا، أجابتها:

«وما هي النتيجة؟»

ـ إنه يحبني!

ـ إذن عليه وضع الخاتم في إصبعك.. ولو كنت مكانك ڤيكتوريا لحددت له موعداً نهائياً.. إما الزواج أو لا شيء..

ـ آه.. ولكنني أرفع مستوى من هذا.

ـ إذن لن ترى هذا الخاتم أبداً.. على أي حال.. من أنت؟ امرأة في أواخر العشرين؟ من السخف والغباء هدر وقتك هباء.

التقطت ڤيكتوريا قبعتها:

ـ وأنت اعتني بشؤونك الخاصة!

ـ وسأكون راضية سعيدة إن فعلت الشيء نفسه، ما أزعج أن تعامليني كطفلة.

ـ هذا ما أراك عليه.

ـ أنت غبية إذن.

التقطت ڤيكتوريا سرجها وتوجهت نحو ضفة البركة. كانت متناسقة بشكل مذهل، وقوية.. هزت إيف رأسها وسارت نحو الماء.

هل تناقش غارث وڤيكتوريا بأمر الزواج؟ غارث غير مغرم بها بالتأكيد ولكن ربما لا شأن للغرام في زواج الأغنياء. هذا ما قاله غارث بنفسه.. لدى ڤيكوريا ما تقدمه.. هناك مزرعة «كانيمبلا» وكل ما هو ملحق بها..

بعدما أسرجت جوادها، صفعت ڤيكتوريا كفل فرس إيف الحساسة التي هرعت لا تلوي على شيء.

التفتت نحوها غاضبة: «أيتها الحمقاء».

قالت ڤيكي شامتة: «ستكون أمامك مسيرة شاقة طويلة».

www.elromancia.com

ـ وماذا سيقول غارث برأيك؟

ـ لا شأن لي أبداً، فهل أقدم أنا على شيء كهذا؟ كنت أضع السرج على الفرس حين أجفلها شيء ما فهربت.

وضحكت متشفية..

ـ وماذا إن رأى الفحل المتوحش الفرس؟

ابتسمت ابتسامة لؤم رفيعة:

ـ لن يفعل.. ولو حدث ما لا تحمد عقباه فهي غلطتك.

قالت إيف بازدراء: «خلتك تحبين الجياد. حسن جداً.. انطلقي..»

أصبحت الآن وحدها فلا جدوى من محاولة استرجاع الفرس. يا لحماقة فيكتوريا!

غسلت إيف وجهها في الماء مستمتعة بالمياه الباردة الصافية. إن هذا المكان مركز مهم للماء.. ولا شك أن أحداً سيجدها هنا إنما متى؟ أخذت بعض الماء في يدها مرة أخرى ورشته على وجهها الذي أصبح براقاً كالساتان الأبيض.. كان في الماء حجارة ملونة رائعة تناولت منها عدداً كبيراً دسته في جيبها.

وفيما كانت تدسها في جيبها تذكرت ليلة البارحة أن غارث عانقها ليلاً.. أيمكن لأحد أن يشرح لها كيف لمداعبات رجل أن تكون نعمة من السماء، فيما تكون أخرى رهيبة؟ اجتاحتها المشاعر التي اعتملت في نفسها البارحة ولكنها خافت مما تشعر به.

إنها تريد غارث بقوة ولكن ماذا بعد أن يأخذ منها ما يريد، ألن تكون حياتها ساعتئذ فارغة؟ لا تحقق الرغبة دائماً السعادة لذا على من يريد أخذها أن يقول «أحبك» لتوافق.

صاحت بصوت مرتفع: «آه! اللعنة عليك غارث».

وأجفلت صيحة إحباطها الطيور.. فانطلقت من أعشاشها.

رأت في جهة البركة الأخرى كنغارو جميلاً ينظر إليها وهو على ما يبدو حائراً في أمره: أيشرب أم يفر هارباً؟ وقفت إيف مسمرة حيث هي لتبعث الاطمئنان في قلب هذا الحيوان. وهذا ما حدث فقد طأطأ الكنغارو برأسه إلى الماء يشرب منه.

تابعت إيف سيرها مستمتعة بجمال البريّة.. أحست أنها صغيرة أمام هذا القفر الجميل المخيف. وفي الطريق مرت بفلو صغير حديث الولادة فحدقت إليه بدهشة وهي تكاد لا تصدق ما رأته عيناها.

ـ بالك من صغير جميل!

جثت على ركبتيها مذهولة بهذا الطفل: «أيها الحبيب الصغير!»

نظرت حولها تفتش عن أثر:

ـ أين أمك؟

لقد خُبّيء الفلو جيداً ولكنه رغم هذا ما زال معرضاً للخطر. إنها هنا في مكان ما. ربما هي من أتباع الفحل «الماهوغوني» اللون.. عرفت إيف أنها ستواجه خطراً داهماً إن عادت الفرس الأم التي لن تتوقع وجود بشري قرب ابنها الغالي.

جلست إيف بين نبات شائك متوقعة قدوم الأم في أية لحظة. ومع أنها ظلت مختبئة بين الأزهار الزكية الرائحة لم تظهر الأم.. أهي مريضة يا ترى؟ أم ميتة؟ لا تعود الفرس إلى رعيلها بعد الولادة أبداً. قد لا تعود في بعض الأحيان إلا بعد أشهر.. وهناك قواعد وقوانين حتى في البريّة.. إذن.. أين هي الأم؟

أخيراً قررت إيف البحث عنها، فالأم بلا شك في مأزق، وإلا لما هجرت فلوها..

قرب البركة وجدت إيف فرساً كستنائية تحتضر فترقرقت عيناها بالدمع.

ـ يا للمسكينة!

الفرس البرية التي لم تسمع قط صوت إنسان أو أحست بيده عليها استكانت وكأنها أدركت أن هناك من بواسيها، اقتربت إيف من الفرس المحتضرة تدفعها رغبة عامرة إلى احتضان رأسها. ولكنها غيرت رأيها خشية أن تبعث الذعر إلى قلبها، فجلست غير بعيدة عنها تتحدث بهدوء، تقول للفرس إنها سترعى الفلو. تعرف إيف أن الفرس لا تفهم ما تقول ولكنها ستشعر بصدق مشاعر الإنسانة التي تجلس قربها.

وعندما فاضت روح الفرس أحنت رأسها بين يديها وأجهشت بالبكاء.

حين وجدها غارث، كانت تجلس بين الزهور والفلو في حضنها.

ترجل بسرعة عن صهوة جواده، ينظر إلى ما حوله بحثاً عن الأم الثائرة بدون شك.

ـ يا إلهي!

لم ترفع إيف رأسها: «لا بأس إنها ميتة».

زفر نفساً مخنوقاً: «آه، أين كنت؟ كدت أفقد عقلي».

رفعت إيف وجهها المغرورق بالدمع.

ـ وعدت الفرس أن أعتني بفلوها.

مد يده يمسح لها الدموع: «لا بأس في هذا».

ـ لم أجرؤ على الحركة لئلا أفزعه.. يبدو ضعيفاً جداً.

تقدم كونواي وقال بصوت لطيف جميل:

ـ سآخذه آنسة.. إنه فلو جميل صغير ولكنه جائع.

عندما أخذ كونواي الفلو عن حضنها رفعها غارث عن الأرض:

ـ تعالي إيف.. سنعود إلى البيت.

وصلت ڤيكتوريا التي أوقفت جوادها ونظرت إليهم:

ـ لم تسألينا إن كنا قد وجدنا الفحل.

نظرت إليها بسرعة، ثم ردت طرفها:

ـ لقد وجدتموه طبعاً فأنا أرى كولومبينا.

قال كونواي:

ـ اضطررنا لقتله آنسة. كانت الطريقة الوحيدة لنستعيد الفرس.

ـ أوه!

ولم تضف كلمة أخرى فهي تعرف أن غارث لا يرحم أحداً عندما يتعلق الأمر بممتلكاته.

سمحت له أن يضعها أمامه، غير مدركة للنظرة الشرسة التي رمقتها بها ڤيكتوريا هل سار أي شيء كما خططت؟

قال غارث بهدوء: «لا تقلقي على الفلو الذي يملك فرصة كبيرة للعيش».

أسندت نفسها على صدره مأخوذة بقربه منها:

ـ سأطلب من أنيتا المساعدة.. إنها تخاف الجياد، ولكنها لن تخاف من فلو صغير.

ـ معك حق.. منذ عشر دقائق كنت أستشيط غضباً وقلقاً.. أما الآن فلا أشعر بشيء من هذا القبيل.

واشتدت ذراعه حولها فشعرت لحظتئذ أن هناك رجفة وراء قوته الحديدية.

* * *

كان استقبال أنيتا للمخلوق الصغير اليتيم كل ما تنشده إيف.. فقد همست الصغيرة:

ـ أيمكنني أن ألمسه؟

نظرت إيف إلى الطفلة: «وبإمكانك إطعامه».

لم تصدق أنيتا أذنيها: «إطعامه؟»

ـ علينا أنا وأنت رعايته.

ـ لكنني أخطىء في كل ما أقوم به، وقد أؤذيه

www.elromancia.com

ـ لن يحدث هذا.. سأعلمك، ثم نتبادل الأدوار.

ـ لكنني أخاف أحياناً يا إيف.

ضمت الطفلة إلى صدرها:

ـ لا بأس حبيبتي.. كلنا نخاف أحياناً.. لكننا نستمر في المحاولة. سأساعدك وأعلمك. إن الفلو جائع جداً وعليك مساعدته ليعيش، تذكري أن حياته وقف علينا.

قالت الصغيرة وقد شعرت بالمسؤولية:

ـ أريني كيف.. صدقاً.. إنه جميل!

كانت معجزة من نوع ما.. فقد حددت هذه الحادثة بداية نهاية خوف أنيتا من الجياد.. منذ تلك اللحظة تعلقت بالفلو فراحت تعتني به عناية ما كان ليقدمها طفل آخر. وقد حدث أن عاشت في الأسطبل تقريباً، ولكن كريستين لم تكن تسمح بمرور هذا بدون تعليقات لاذعة.

ـ يبدو أن ابنتي الآن مربية خيول.

كان الجميع متحلقين حول مائدة العشاء.. فاحمر وجه العم دايفد بشدة وقال:

ـ يبدو أنك لا توافقين على أي شيء تفعله!

لم يكن هجومه متوقعاً، فبدت كريستين مضطربة.

تابع: «أرى أن ما يحدث لها معجزة تقريباً».

عضت كريستين شفتها وطأطأت رأسها.. أجال العم دايفد نظره حول المائدة وأكمل:

ـ وأود كذلك أن أقول وأمام الجميع أنني أدين كثيراً لإيف التي فهمت أنيتا.. أعتقد أنها ألطف وأرق مخلوقة على وجه الأرض فقد أظهرت لي ولكريستين مدى خطأنا بشأن ابنتنا.. فهي بعيدة كل البعد عن التخلف وبطء الاستيعاب.. أنيتا طفلة متفوقة موهوبة. لقد حثني

ستان قبل أن يغادر أن أعطيها دروساً في الرسم.. كريستين، أنت قادرة على هذا.. كما أن ابنتك ورثت منك هذه الموهبة.

وقفت كريستين فجأة وهي تكاد تطيح بكرسيها أرضاً:

ـ إذن.. هذا ما سيكون دوري في الحياة؟ أعلم فتاة في الرابعة من عمرها! لا أدري لماذا تبدون تأثركم بخربشاتها.. من الواضح أنكم لا تعرفون شيئاً عن الموهبة!

رد غارث بفظاظة: «من الجلي أنك لم تنظري إلى مجموعتنا من اللوحات الفنية!»

ـ حسناً، لديكم أطنان من المال والذوق السليم.. وأتمنى لو تقارنوا رسماتي الأولى بما ترسمه أنيتا، وسترون لماذا لا أستطيع العمل على سلسلة من الخربشات المتألقة الألوان.. إنها بشعة، غير منتظمة، وتُظهر بوضوح أن أنيتا طفلة مضطربة.

سألها غارث بهدوء: «ألا تقبلين أية مسؤولية؟»

ـ لا..! لا..! لا..! لماذا تنقلب عليّ غارث؟ أنت تعرف أنني فعلت ما بوسعي.

قالت الجدة بحزم وهدوء:

ـ أرجوك، عودي إلى مكانك كريستين.. ندرك أنك كنت تعسة بسبب أنيتا.

صاحت بيوس: «أنيتا».

وضمت يديها، تنظر إلى السقف المزين بالجص المحفور.. وتدفقت الدموع من عينيها، فوقف العم دايفد يلف ذراعيه حولها: «سأصحبك إلى غرفتك».

انسلت كريستين من بين ذراعيه بعنف: «اذهب إلى الجحيم».

وهرعت إلى غرفتها.

لم يتطلع أحد إليها وهي تركض.. وأحنت الجدة رأسها بحزن

www.elromancia.com

فيما تحول وجه غارث المصدوم إلى سخرية مريرة. . وبدا على العم دايفد الألم والإحراج، أما إيف فأبقت رأسها الذهبي الشعر محنياً باتجاه كوب من الكريستال.

قال دايفد، وكأنه لا يوجه كلامه لأحد:

ـ أظن أن زواجي كارثة.

رد غارث بمرح مرير:

ـ لا يقع اللوم عليك. . لماذا لا تُخرج من نفسك كل ما يعتمل فيها؟

التفت العم دايفد إلى ابن أخيه متنهداً:

ـ وماذا تقترح أن أفعل؟

ـ لو كنت مكانك، لضربتها.

مدت الجدة يدها تشرب قليلاً من العصير تقوي به نفسها:

ـ لماذا لا تفعل ما اقترحته عليك؟ خذها بعيداً لفترة وستكون أنيتا على خير ما يرام هنا. .

ـ اللعنة على كل شيء أمي. . لا أريد السفر. .

تحداه غارث بفظاظة: «ألا تريد إنقاذ زواجك؟»

بدت الدهشة على العم دايفد:

ـ يا إلهي! أيمكن لرحلة أن تؤمن السعادة لكريستين؟

سأله غارث:

ـ إذن. . ماذا ستفعل؟ العيش في الوايت هاند لا يكفي كريستين. . ما كان عليك من الأصل إبعادها عن المدينة.

رمى العم دايفد نفسه على الكرسي مهزوماً:

ـ شرحت لها وضع الحياة في المزرعة وكانت متلهفة للمجيء. أعتقد أنني زوج رهيب.

قالت الجدة:

ـ ربما لم تنظرا إلى بعضكما بعضاً كما يجب. . فالحياة صعبة حين لا يتشارك الزوجان الاهتمامات نفسها. . وكريستين لم تتقبل العيش بالريف كما لم تتقبل أمومتها. . ربما تتجه نزعتها نحو موهبتها. . وهي فعلاً موهوبة. . فتلك اللوحة التجريدية في غرفة نومها رائعة.

مد العم دايفد يده ليمرر له غارث إبريق الشراب.

ـ من المؤسف ألا يكون زوجها موهوباً. . فلست ناجحاً في شيء.

بدا الاستياء على الجدة:

ـ يا ابني الحبيب. . أنت تقسو على نفسك.

ـ إن هذا ما أرى نفسي عليه. . سأرى أين ترغب كريستين في الذهاب، وسآخذها. ولكن هل الجري في كل اتجاه سيحل المشكلة؟

بعد ساعات في وقت كان يجب أن تكون فيه إيف نائمة نزلت إلى الأسفل بحثاً عن كتاب تقرأه وتنام. من عادتها أن تغفو بعد قراءة فصل أو يزيد، والكتاب في يدها ولكن محنة العم دايفد أثرت فيهم جميعاً. . حتى أن الجدة طلبت دواء منوماً يساعدها على النوم.

لا يترك المنزل عادة بلا أنوار وكانت تترك دائماً بعض المصابيح مضاءة لئلا يتعثر السائر ليلاً فيؤذي نفسه. .

بدا لإيف فجأة أنها تحب المنزل على حاله هذه بعتمته الذهبية. . فالنور الذهبي الخفيف يحوّل كل شيء بحيث تصبح المناظر المختلفة عميقة وغامضة.

عندما سمعت صوتاً صادراً من مكتبة غارث توقفت مصدومة. . إنها كريستين التي كانت تقول ما جعل أعصاب إيف تنتفض.

ـ أريد أن أكرهك غارث لكنني لا أستطيع!

ـ أما عليك أولاً أن تقولي إنك تحبينني؟

www.elromancia.com

صاحت كريستين ثائرة العواطف.

ـ يا لك من نذل ساخر.. هل أحببت امرأة قط؟

ـ تأثرت بواحدة فقط.

ـ كنت أعرف هذا!

جعل النصر في صوت كريستين إيف تقفز.. وأكملت كريستين:

ـ أنا لك لتأخذني غارث.. وهذا ما كنت تريده منذ دخولي هذا المنزل.

رد غارث بقسوة متوحشة جعلت إيف تتكمش:

ـ توقفي عن هذا! لقد فهمت كل شيء بطريقة خاطئة.. فلم أنظر إليك قط أكثر من كونك امرأة دايفد.

توسلت إليه: «لا تغضب! أعرف أن الموقف رهيب ولكننا نستطيع حله.. فدايفد رجل محترم وهذا يعني أنه لن يجبرني على زواج لا أريده».

سألها بصوت أجش مرتجف غضباً:

ـ وماذا كانت المشاعر الغامرة التي أحسست بها يوم زواجك به؟ أكانت جشعاً؟ أتعتقدين أنني لم أتحقق من أصلك ونسبك. لم تسمحي لوالديك برؤية حفيدتهما أبداً.

قالت كريستين بصوت تخنقه الدموع: «أنت لم تفعل هذا».

ـ لا أفهمك كريستين أعرف الحب وما أحس به نحوك هو مجرد شفقة.

صاحت بصوت مرتفع بشع:

ـ متوحش ظالم!

سمحت إيف لنفسها بالتدخل.. فهرعت نحو الباب، ودفعته، ثم أسندت نفسها إليه تقفله.

ـ ألا يمكنك إبقاء صوتك منخفضاً؟ أكره أن يسمع العم دايفد ما

تقولين.

ضحكت كريستين بهستيرية: «ومن يهتم؟»

قال غارث بحدة: «لا تخافي إيف.. لقد انتهى كل شيء».

استدارت كريستين نحوه بثوبها الشفاف:

ـ صحيح؟ لا تنكر أنك تحس بشيء ما نحوي فقد شاهدتك مراراً تنظر إليّ.. لست غبية.. أعرف تماماً متى يشتهيني رجل.

تأوهت إيف ووضعت يديها على فوديها:

ـ هذه العائلة تنحطم إلى شظايا!

أصبح وجه كريستين الغريب قناعاً حجرياً:

ـ من طلب منك التدخل؟

ـ سأعود إلى غرفتي.

قال غارث متعباً: «لا تذهبي إذ لا أطيق وجودها».

قالت إيف: «إذن أوقف هذا كله وقل لها إنك لا تحبها».

تمتم حانقاً: «رباه! ما خطبكن أيتها النسوة؟ كريستين كيفت قلبها على حب محرم وكنت المغفل المسكين الذي قررت أن تحبه.. وهذا ما صدمها صدمة عظيمة منذ وطئت قدماها أرض هذا المنزل.. الواقع أنها كانت تغلي شوقاً طوال خمس سنوات».

أحست إيف بالإذلال الذي ينزله بكريستين، فقالت توبخه:

ـ لا تقل هذا غارث.. لا تكن لاذعاً في كلماتك.

انحنى ساخراً: «أنا آسف.. ليتني أقدر أن أكون ألطف بشأن هذا الأمر ليتني..»

مدت كريستين ذراعيها نحوه: «لا تتظاهر غارث فاللوم يقع عليك لأن أموراً كهذه تحدث.. لا نستطيع أن نفر من نحب.. ألا تعرف لماذا غادرت فيكتوريا البيت فجأة؟ لأنها فهمت أخيراً أنك لا تهتم بها أبداً؟»

www.elromancia.com

رد ساخراً: «وآن لك أن تفهمي. أنت ذلك».

تذكرت إيف الطريقة التي غادرت فيكتوريا بها فجأة، فسألت:

ـ ماذا قلت لها؟

مرت عيناه على وجه إيف الصغير المستعد للنوم:

ـ لم أقل لها إلا أنني أستعد لتنفيذ خططي للزواج بفتاة أخرى.

شحب وجه كريستين شحوباً شديداً حتى كاد يغمى عليها.

ـ ماذا؟

اقترب غارث من إيف ووضع يديه على كتفيها:

ـ هذا ما يفعله معظم الناس.. الواقع يا كريستين أن إيف هي فتاة أحلامي منذ وقت طويل.

ـ أنت مجنون!

لو كان مع كريستين خنجر لدفنته في قلب إيف.. وسألها ببرود:

ـ ألا تعجبك الفكرة؟

دارت كريستين كالمجنونة حول الغرفة:

ـ لا أصدق هذا! إيف مجرد طفلة!

أصيبت إيف بالصدمة بحيث عجزت عن فهم ما يجري حولها.

قال غارث: «لم تعد صغيرة فستبلغ الحادية والعشرين».

نظرت كريستين إلى إيف المصدومة بعجز:

ـ إنه يمزح.. أليس كذلك؟

قالت إيف ببطء: «أظنه جاداً في قوله».

فهمت إيف أخيراً المسألة. لقد أراد غارث وضع حد لكريستين فاختارها لتكون وسيلة خلاصه من زوجة عمه.

تمتمت كريستين بذهول: «أظنني مضطرة للذهاب إلى النوم..»

تقدم غارث إلى الباب بسرعة وفتحه:

ـ افعلي ما هو متعقل ومنطقي كريستين.. وامحي الأمر كله من

فكرك وأعدك أن أمحوه من فكري.

ثم هرعت إلى الخارج.. قالت إيف: «لقد أنهيت الأمر ببراعة».

قال بعنف تقريباً: «هذا ما أتمناه! امرأتان في أسبوع واحد.. يا إلهي.. هذا كثير!»

غرقت إيف في حضن مقعد وثير:

ـ يا للمسكين!.. أفكر في النساء اللواتي أسرتهن فتنتك!

ـ أتصرف عادة بشكل لائق مع النساء.

تقدم إلى المكتب ليمسك كتاباً رماه إلى الحائط فجأة!

هزت إيف رأسها: «مسكينة كريستين!.. ستكرهك الآن».

ـ أفضل أن تكرهني هي على أن يكرهني شخص آخر.. وآمل أن يصحبها دايڤد في رحلة إلى الخارج، ويتركها هناك.

تطلعت إلى غارث الطويل القامة الرشيق الحركة.

ـ وماذا سيفعل؟ أعني فيما بعد.. فأن تكرهك كريستين لأمر سيء كحبها لك. الأمر كله محرج.

تحولت نظرات غارث من الاشمئزاز إلى التسلية:

ـ هذا ما لا يمكن إنكاره.. على أي حال، عندما يعودان فسيجداننا متزوجين.

أحست فجأة بسخط بسبب عجرفته.

ـ لكن.. لدي خططي الخاصة!

بدا مسروراً للهشاشة في صوتها: «حقاً؟ وما هي؟»

ـ لست مجبرة على قولها.

ـ بل أنت مجبرة.

صاحت بتهور: «أنت متسلط غارث».

ـ وهذا يناسبك. هل هناك من قد يناسب سيد الوايت هاند غير فاتنة عذراء في العشرين من عمرها.

www.elromancia.com

ـ ربما خدعتك.

هز رأسه: «لا يا طفلتي.. فأنت متعلقة بي منذ سنوات».

أرادت إيقافه عند حده.

ـ صحيح؟ لم أعرف هذا إلا منذ وقت قليل.

ـ لأنك حتى الآن كنت أشبه بأرنب صغير مذعور.

ـ أرنب؟ أنا راشدة.

هبت عن الكرسي مضرجة الوجنتين.. فمدّ يده إلى خصرها يشدها إليه:

ـ لم تصبحي راشدة ولكنك على الطريق إلى سن الرشد.

صاحت به، وهي لا تدري سبب غضبها.

ـ المسني.. وستندم!

ـ وماذا ستفعلين؟

ـ أرفض تلقي أوامرك ما تبقى من عمري.

ـ ليس الأمر سيئاً إلى هذا الحد.

إنها تكرهه حين يتخذ تلك النظرة المتعجرفة: «بل هو سيء».

تركها فجأة: «حسناً، هل أفهم من كلامك هذا أنني مرفوض؟»

ـ هل تتوقع مني أن أصدق رغبتك في الزواج بي؟ أنت تريدني فقط درعاً للحماية.

ـ ألا تصنعين معي هذا المعروف الصغير؟

تراجعت خطوات وجدتها ضرورية: «حتام؟»

ـ لا أدري! ما رأيك بخمسين سنة أو أكثر.

توسلت إليه: «كن جاداً غارث».

هز كتفيه:

ـ لكنني جاد.. إن كان لا بد للوايت هاند من وريث فعلي فيجب أن أتزوج.. وأنت أجمل فتاة عرفتها.

ـ لا أصدقك.

عاودته الغطرسة مجدداً، وكان يعرف أن كل ما عليه فعله هو ملامستها:

ـ هل أساعدك على التصديق؟

قالت مرتجفة: «لن تسوي بذلك شيئاً».

ـ بل يصعب ألا أسوي شيئاً.

طافت عيناه بقدها الرشيق وبحنايا جسمها الفتيّ:

ـ إن مجرد النظر إليك كاف ليحبس أنفاسي.

اخشوشن صوته النابض بالحياة فجأة، فأغمضت إيف عينيها لأن كل ما في غارث يجعلها ضعيفة جداً.. غير أنه حتى الآن لم يقل ما تريد سماعه، وقد لا يقوله أبداً.. فالأولوية عنده للمزرعة ولحاجات المزرعة.. المشكلة أنها تريده، تريده بيأس.. تريد المزعج، المعذب، الديكتاتور، غارث..

جعلتها يداه الطائفتان عليها تصرخ عالياً متوسلة:

ـ آه، أرجوك.. لا تضمني.. لا.. لا..!

وأطبق صدره على الثغر المتمتم بالكلمات فسمعت خفقات قلبه تضج في أذنيها ولكن أهي خفقات قلبه أم خفقات قلبها؟

قبّل رأسها، ثم وجهها:

ـ يا لطفلتي المسكينة! متى ستقبلين النوم معي؟

أحست بحنجرتها ترتفع إلى أذنيها: «أبداً».

ـ بل ستفعلين لأنك لن تهربي.

صاحت: «لا أفهم شيئاً.. فلم تطلب يدي حتى! إن ما تفعله هو إملاء إرادتك عليّ فقط».

ضحك ثم رفعها: «إيف زهرتي الصغيرة. هل تتكرمين عليّ بالزواج بي أرجوك؟»

www.elromancia.com

ـ يجب أن أكلم جدتي أولاً.

وضعها في حضنه بعدما جلس: «ولماذا؟»

ـ لأنني لا أرغب في إزعاجها وهذا أمر في غاية الأهمية.

أمسك رأسها الأشقر بين يديه وقال لها بصوت ملؤه السخرية:

ـ اهدئي، أنت غير مضطرة لسؤال الجدة لأنها تراك رائعة..

بدأت إيف بالبكاء وقالت:

ـ اللعنة عليك غارث.. اللعنة عليك!

قال بعنف غير متوقع: «لا تبكي».

مررت يدها على خدها: «ولِمَ لا أبكي؟»

ـ لأنك إن بكيت فقدت السيطرة على نفسي.

الأمر مربك.. إنه لا يعني ما يقول فلم يسبق أن كان لامرأة مثل هذا التأثير على غارث. أحست بأنها وسط عاصفة رهيبة، خائفة من الصواعق.

لامست طرفي شفتيها بطرف لسانها فأحست بطعم الملح من دموعها:

ـ إذن، من الأفضل ألا أبكي.

احتضنها بلهفة يائسة فكان أن فضحت ما في نفسها بتنهيدة شوق وبارتجاف جسمها المشتاق إليه.

قال لها: «تعرفين أنني أحبك بجنون.. أليس كذلك؟»

رفعت عينيها إليه: «لا».

ـ بل تعرفين هذا نِعْمَ المعرفة.

أتعرف هذا؟ أتعرف؟

توسلت إليه: «قل إنك تحبني».

رفع رأسها إليه ثانية: «انتظرتك سنوات حتى تكبري».

أمر لا يصدق.. ولكنه كان شاحب الوجه تحت بشرته.

ـ لكن، كل تلك النساء؟

شد خصلاتها الشقراء يؤلمها: «وهل ذكرت لك خطيبيك السابقين؟»

كادت عيناها الخضراوان تبتلعان وجهها الصغير:

ـ لكنني ظننت بل ظننا.. جميعاً أنها فيكي وقد حدث أن قالت لي تلك المرأة إنكما متفقان.

ـ أبداً!

ـ لكنك كنت تعانقها وتغازلها.

ـ لا أذكر هذا.. صدقاً.

ـ يجب أن تذكر!

ظهر في عينيه شيء من نفاد الصبر.

ـ لم أحبها قط. أقصد يا إيف ألا تغاري منها أو من سواها.

قالت بصدق: «أنا لا أغار.. الله يعرف لماذا.. ولكنني لا أغار».

أحست بالتوتر في يده: «ألا يكفيك اعترافي بحبك؟».

تنهدت:

ـ لا أستطيع إلا أن أبدي أسفي على كثير من الناس.

ـ أحد أسباب حبي لك هو العذوبة والعاطفة..

نظرت إلى عينيه بسرعة فإذا الصدق العميق فيهما.. وقال لها: «وماذا تريدين مني أن أقول أيضاً؟».

عقدت ذراعيها حول عنقه:

ـ لا شيء.. هدفي الوحيد في الحياة أن أكون كل ما تريده أنت.

قال بانتصار حنون:

ـ أنت لي، إلى الأبد.. ستكون الحياة بدونك خالية من الطعم والنكهة.

ضمها إليه بصمت وقتاً طويلاً.. ثم تصاعدت العاطفة في

www.elromancia.com

نفسيهما، فلامست شفتاه أهدابها وصدغها، فوجنتها.. و..

في عيد ميلاد إيف الحادي والعشرين تزوجا.. كانت نورما وصيفة الشرف. ومع أنه قد أصبح معروفاً الآن أن زواج دايفد ماسترز قد انفصمت عراه، إلا أن ابنته الصغيرة أنيتا كانت منفعلة لأنها ستكون حاملة الزهور للعروس..

أما إيف وغارث فكانا سينطلقان للقيام بشهر عسل خارجاً ولكن هذا لم يهمها كثيراً.. لأنهما عائدان.

وقفت أنيتا ذات الجسد النحيل المستقيم، في فستانها الأزرق الطويل، تمسك بيد أبيها تلوّح لهما مودعة.

* * *

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة